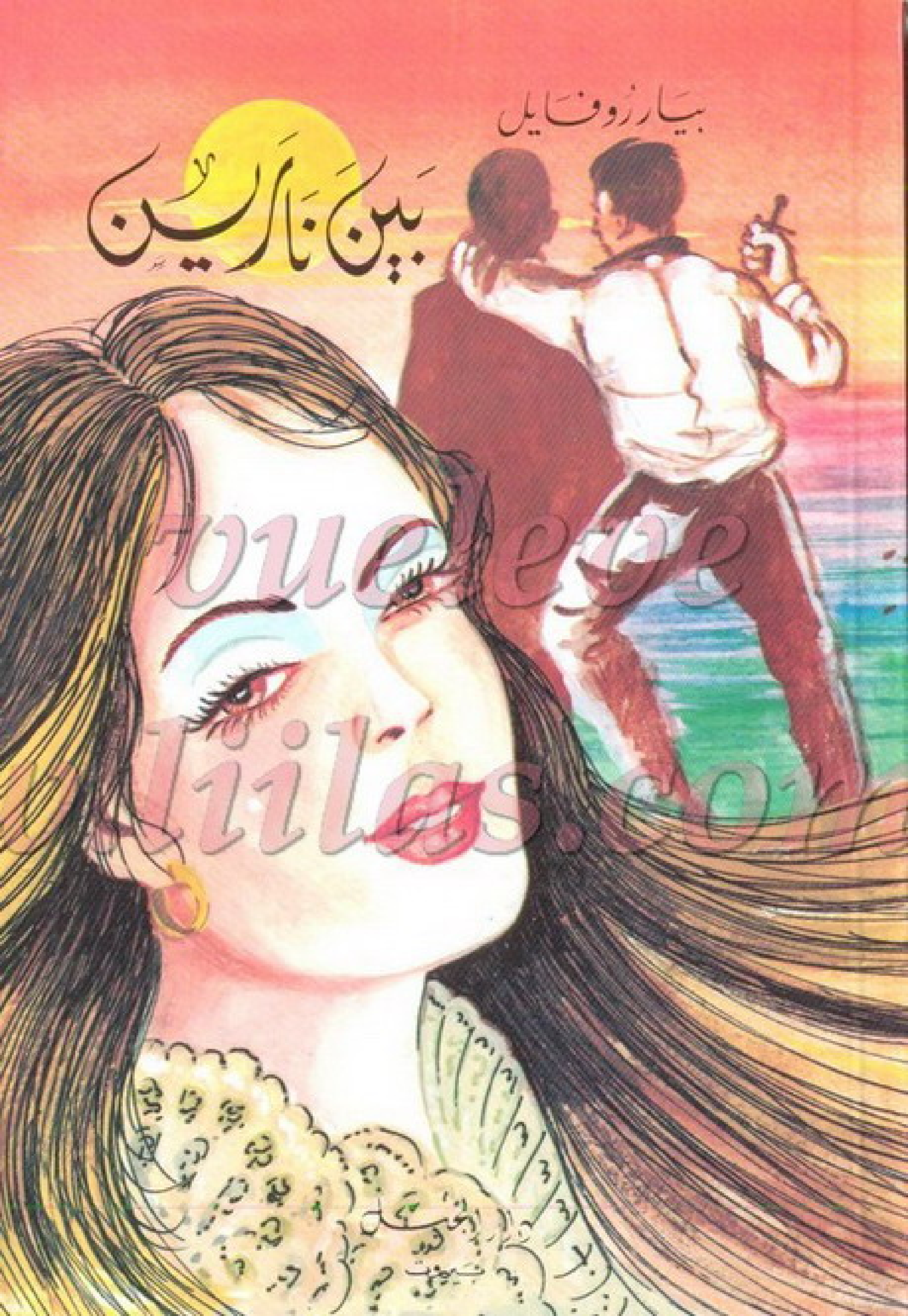

بیا رزوفایل
بین نا رین



في هذا الكتاب قصتان لليان روفايل..

بين نارين..

قصة [illegible] تقف حائرة بين [illegible]
العقل.. فتنام [illegible] وتعذب [illegible]!

محرقة قلب..

قصة قلب يحترق ليضيء السبيل أمام [illegible]
أمام المتأملين..

وفي هذه القصتين [illegible] معاني السعادة والشقاء
والابتسام والدموع والألم [illegible] بأسلوب القصص [illegible] الرشيق...

كلمة الناشر

هذه القصة الرائعة هي من روائع القاص الأديب الاستاذ (بيار روفايل) الذي عرفه قراؤنا أديباً لامعاً وقاصاً يلعب بعواطف وقلوب العشرات بل المئات من قرائه فيبكيهم حيناً ويضحكهم أحياناً ويسبغ على قلوبهم وارواحهم السعادة والهناء.

قصة « بين نارين »

قصة الحب المعذب في الأرض.

انها قصة المكر والخداع اللذين كانا ولا يزالان يعصفان بالبشر على هذه الأرض الفانية.

انها قصة الغيرة العمياء التي تعصف بالقلوب وتحول النفوس الطاهرة الى نفوس ملوثة شريرة.

انها قصة الخير والشر في صراعهما الدائم على الأرض.

في هذه القصة نهج (بيـــار روفايل) نهجاً جديداً وسلك طريقاً لم يعرفه قراؤه من قبل انه طريق « القصة العاطفية » ..

في هـــذه القصة مفاجئات، وشوق، وحب، وهوى، ودموع.

ونحن اذ ننشر هذه القصة نهدف ، كما هدفنا دائماً ، الى إرضاء قرائنا الاعزاء ، والاحتفاظ بثقتهم الغالية ، ونشر روائع الأدب والقصة والتاريخ والشعر .

وفيما نرجو ان تنال هذه القصة اعجاب قرائنا الاعزاء نعاهدهم على المضي في الطريق البعيد الذي بدأنا السير فيه ، وهدفنا الأول والاخير ، نشر الثقافة وارضاء القراء والله ولي التوفيق .

الناشر

الفَصْل الأول

ألم وحب

بساتين طرابلس ، عاصمة شمالي لبنان ، تضحك للربيع الزاهي وتتهادى بين أيدي النسائم العطرة وتغفو في احضان الورود والرياحين والازهار .

وطرابلس في الربيع بهجة العين وصفاء الخاطر وحنين الروح . فالبساتين الخضراء تحيط بها . وعبير الأزهار تغمر حناياها ونسائم اشجار الموز والليمون تلفح خدها وتشعل الحنين في قلبها والشوق في صميمها .

وما يحيط بعاصمة الجمال من الخضرة والزهر والأشجار يسكب على طرابلس الروعة والسناء .

وتلك البساتين والخمائل والرياض تغدو في أيام العطلة ملتقى الأحباب والأصدقاء والعشاق والأسر الكريمة . فيشخص الطرابلسيون إلى الضواحي ليفترشوا الاعشاب والازهار ويتخذوا من الاغصان مظلات وارفة تقيهم حرارة الشمس ونورها وسعيرها .

وينعم الطرابلسيون في احضان الطبيعة الدافئة بالراحة والسلام والبهجة والاطمئنان ولا يعودون إلى دورهم العامرة إلا والشمس قد توارت وراء الافق الرحيب تاركة للظلام الطريق الى جبال لبنان ومدنه وتلاله ووهاده وروابيه .

وهناك في ضواحي طرابلس الخضراء في الناحية الشمالية من عروس الشمال ، بين البساتين المنتشرة في تلك الانحاء ، بستان ليمون شاسع الاطراف واسع الحنايا رحيب ، فسيح الارجاء وفي قلبه تجثم دار متواضعة هادئة رصينة تدل على أن صاحبها من الغنى والفقر بين بين ، فلا هو بالغني الغني . ولا هو بالفقير الفقير . إنه متوسط الحال يعيش من عرق جبينه ، يحرث بستانه وينتظر الموسم المقبل العامر بالخيرات ليسدد ديونه وينفق على أسرته بكرم وسخاء . وأسرته من أربعة أشخاص .

هو ، ناصر العبلان ، وزوجته بهية ، وابنته نهاد وابنه فؤاد . وكان ناصر العبلان يعطف على أسرته ويغمرها بالحب والحنين ويقف عليها كل ما يملك في هذه الحياة من حب وعطف

ومال وتراث . فهو لا يرتاح إلا وقد رأى كل فرد من أفراد أسرته قد ارتاح ولا يغمض له جفن إلا وقد أغمضت جميع الجفون في داره المتواضعة الهانئة . ولا يتناول الطعام إلا وقد جلست زوجته عن يمينه وفؤاد ابنه البكر عن يساره وابنته الحبيبة نهاد تجاهه على المائدة . واذا ما احتاجت زوجته إلى ثوب فلا يدخل ناصر العبلان الى داره إلا وقد حمل الثوب معه الى الزوجة المصون : واذا ما احتاج ابنه فؤاد الى حذاء او الى قميص أو الى ربطة عنق فهو لا يرتاح إلا وقد حصل فؤاد على ما يحتاج اليه .

أما ابنته نهاد فلها المقام الأول في قلبه . ليس لناصر العبلان أن يعرف طعم الراحة والسعادة والهناء إلا وقد رأى نهاد على قمة السعادة والراحة والهناء . ونعمت الأسرة المباركة في كنف سيدها بالسعادة الوارفة الظلال .

وارتاح ناصر العبلان كل الارتياح وهو يشاهد أسرته على هناءة وارتياح . وكان ابنه فؤاد قد تخرج من المعهد الكبير في طرابلس يحمل شهادة البكالوريا . وأراد والده أن يجعل منه محامياً أو طبيباً او مهندساً إلا ان فؤاداً وهو لا يجهل الامكانات المادية المحدودة المتوفرة لابيه أبى أن يلقي على عاتق والده الحبيب الاعباء الثقيلة فوثب الى ذلك الوالد الحنون ليقول : « يكفيني يا والدي ما جمعت من العلم ، لن اواصل الدروس . أريد أن أنصرف الى مساعدتك في حراثة البستان وتقليم الاشجار

وتسميدها » ودهش ناصر العبلان وهو يسمع كلام ولده. وأشعل لفافة تبغ ثم قدم لولده لفافة وكان ذلك اعترافاً منه بأن فؤاداً قد تخطى مرحلة الطفولة والفتوة ودخل مرحلة الشباب. وتناول فؤاد اللفافة من يده أبيه وهمس بخجل : شكراً .

وأشعل ناصر لفافته ولفافة ابنه وتمتم : « اسمع يا فؤاد . كان كل أملي في الحياة هو ان أراك مزارعاً مثلي يا ابني، تهتم بالبستان الواسع الأطراف الذي ورثته عن والدي والذي سترثه أنت عن والدك أيضاً ويرثه أولادك عن والدهم . هذا ما كنت وما زلت أحلم به يا بني . ولكنني أردت أن أجاري تطور الزمن . أردت ان أجعل منك محامياً تماماً مثل ابن يوسف بك او طبيباً مثل ابن نجيب الآغا . اخترت لك طريق المدنية وأنا أرى الزمن يتطور والايام تسير بنا نحو المجهول . لقد خيل إلي أن زمن الزراعة والحراثة والبساتين قد توارى ليطل علينا زمن العلم والمعرفة والاختصاص. وتمتم فؤاد: ولا يا والدي الحبيب. زمن الزراعة لن ينقرض ما دام البشر بحاجة إلى الخبز والطعام. وآفة لبنان هي الاندفاع نحو المدينة والإنصراف عن الحقل . آفة لبنان هي الانصراف عن القرية إلى المدينة ، هي إهمال الارض الطيبة والاندفاع وراء المدينة المزيفة الرعناء. أنا سأعيش هنا في هذا البستان ، تماماً كما عشت أنت وكما عاش والدك ووالد والد والدك » .

وارتاح ناصر العبلان لبيان ولده واطمأن . الحمد لله ثم الحمد

لله ستجد أشجار الليمون من يعتني بها وستقع الارض الطيبة المعطاء على من يتدبر أمرها ويوليها العناية والاهتمام . وانصرف فؤاد العبلان إلى الاهتمام بشؤون البستان . وازدهر البستان وأقبلت المواسم وفؤاد يشرف على الحراثة والتقليم والتسميد وجني الأثمار بالطرق والوسائل الحديثة . وارتاح للعمل في البستان . فهو يريد ان يظل هناك قرب جارته الحسناء لمياء ، ولمياء صديقة أخته نهاد . وهي جارته ، تقيم مع والدها وامها وشقيقها في دار متواضعة ، تماماً مثل دار ناصر العبلان وفي بستان واسع شاسع مثل بستانه . ومع اسرة مؤلفة من أم وأب وشقيق . فكأن الله أراد ان يساوي بين اسرة ناصر العبلان واسرة مسعود المسير . فأنعم على ناصر ببستان ودار وزوجة وولد وابنة وانعم على مسعود ببستان ودار وولد وابنة .

وكانت الاسرتان تعيشان عيش هناء وصفاء ، فهما على صداقة متينة الأركان ، ناصر العبلان صديق مسعود المسير . وزوجة هذا صديقة زوجة ذاك . وفؤاد صديق حسيب ولمياء صديقة نهاد .

أما بين لمياء وفؤاد وبين نهاد وحسيب فقد كانت العلاقة أعمق وأقوى وأبعد من الصداقة . كان ثمة هوى وحب وغرام . إلا ان الحب بين قلبي لمياء وفؤاد كان أبعد منه وأعمق بين قلبي حسيب ونهاد . ولذلك فقد أخذ الحب بين قلب حسيب وبين قلب نهاد يخبو رويداً رويداً وما شعرت به نهاد شعر به حسيب وانصرف كل منهما يعالج مشاكله العاطفية على حدة. فجاء من يستولي على

قلب نهاد وهو شاب وسيم أنيق من اسرة محترمة في طرابلس في حين جاءت تلك التي تستولي على قلب حسيب . وهي غانيــة حسناء تعمل في نوادي طرابلس الليلية ، ترقص وتغني وتحسو الخمر وتساير رواد الملهي وتتناول بدل أتعابها المال الوفير .

وأدركت نهاد أن ابن جارها مسعود المير لم يعد لها،أدركت ان الغانية الحسناء استولت على قلبه فرأت أن تبادله بالمثـل . واسرعت إلى حبيبها ، إلى الشاب الطرابلسي النبيل تدعوه إلى طلب يدها . ولبى الشاب الطلب . هذا كل ما يتمنى من دنياه نهاد ابنة ناصر العبلان هي من يريد ذلك الشاب الوسيم الأنيق

وأعلنت الخطوبة . ووصل الخبر الى حسيب فلم يعبأ بما سمع. بل هو وثب إلى نهاد يشد يدها مهنئاً متمنياً لها السعادة الوارفة والهناء البعيد . ولم تشأ نهاد ان تطيل مدة الخطوبة ،ثلاثة أشهر فقط وتمت حفلة الزفاف . زفت نهاد الى الحبيب الطرابلسي ، وبينما كان المدعوون والأهل والاصدقاء منصرفين إلى احياء حفلة العرس البهيج كانت لمياء ابنة مسعود المير تخلو بحبيبها فؤاد بن ناصر العبلان شقيق العروس تحت شجرة ليمون غضه خضراء وتهمس في اذنه : « فؤاد ، لقد بت أخشى أن يؤول حبنـا إلى الفراق يا حبيبي ، بت أخشى ان يحرمني الله منك ويحرمك مني . فيلقي بي في واد سحيق ليلقي بك في واد قصي بعيد ، وضمها فؤاد إلى صدره برفق وحنان ليقول : « لماذا التشاؤم يا لمياء ، وأمامنا التفاؤل باسم الثغر وضاح الجبين ؟ من قال لك

ان الله يريد لنا الفراق ؟ من أنبأك بأن نصيب حبنـــا العظيم سيكون الانهيار ؟ من قال لك ذلك يا لمياء » ؟ .

فألقت لمياء برأسها إلى صدر حبيبها وهمست : ما حل بحب اخي واختـــك يهيب بي الى التشاؤم يا فؤاد . كان أخي حسيب يحب أختك نهاد وكانت نهاد تبادله الحب والحنين . وهـــا هو القدر يثب ليقف بينهما ويفرقهما فيلقي بنهـــاد إلى واد ويلقي بحسيب الى واد آخر .

وابتسم فؤاد واصابعه تشد أصابع حبيبته وهمس : لا يا لمياء ، لا يا حبيبتي . نحن لن نفترق ، لن يقف القدر بيننا . لن نبتعد عن بعض يا حبيبة قلبي . ليس ثمة قوة على هذه الارض الفانية تستطيـــع ان تبعد لمياء عن فؤاد.لقد جئنا إلى الحيـــاة لنعيش معاً . إن الله يا لمياء يرسم الانسان الطريق قبل مجيئه إلى هذا العالم وما على الانسان إلا ان يسير في الطريق الذي رسمه له الله . وما ذلك الطريق يا لميـــاء إلا طريق المحبة والسعادة والحق والنور . واذا ما نزل الشقاء بإنسان ، واذا مـا حلت المصائب بإنسان . وإذا ما غمر الظلام انساناً فثقي يا لميـاء ان ذلك الإنسان ضل السبيل وسار في غير الطريق الذي رسمه الله. ونحن الآن نسير في الطريق المرسوم ، الطريق الذي أرشدنا الله القوي القدير اليه اطمئني يا حبيبتي ، اطمئني . لن نفترق لن نبتعد عن بعض . سنظل معاً إلى الأبد ، إلى الأبد يا لمياء .

وأغمضت لمياء عينيها واستغرقت في الحلم الجميل . وطوقـها

فؤاد بذراعيه وغابا معاً في حلم شهي الرؤى قريب المنال . وعندما استفاقا من حلمها كان الليل قد بدأ يسير خطواته الاولى وكانت أغاني المغنين وأهازيج الراقصين وأصوات الموسيقى وأحاديث المدعوين للعرس تصل إلى اذانها . فالتفتت لمياء إلى حبيبها لتقول : « تعال نحد إلى الدار يا فؤاد قبل ان يكتشفوا غيابنا . تعال » . قال : « اسبقيني . ادخلي قبلي وسألحق بك . لا يجوز أن ندخل معاً فنلفت الينا الأنظار » .

ونهضت تسير وتتهادى في سيرها إلى الدار . ولحق بها فؤاد بعد قليل ليشتركا في الحفلة المازجة الراقصة الطروب . وجلست لمياء قرب صديقتها العروس تمازحها وتسايرها وتحدثها . في حين جلس فؤاد قرب صهره العريس بين الشبان والوجهاء والمدعوين . وراح فؤاد العيلان يخالس حبيبته لمياء النظرات من بعيد . وانصرفت لمياء إلى مبادلة حبيبها فؤاد النظرات الولهى الهائمة السمحاء . وفجأة حانت من لمياء نظرة إلى يمينها لتشاهد الشاب سليمان الصقر يحدق بها .

واضطربت وقد خيل اليها ان سليمان قرأ ما في قلبها . وخشيت أن تكون نظراتها فضحتها ، خشيت أن يكون سليمان قد وقف على حقيقتها من فؤاد العيلان . واضطربت . اذا كان سليمان الصقر قد وقف على الحقيقة فإن الفضيحة تنتظرها . ولمياء لا تجهل من هو سليمان الصقر ، وليس ثمة في ضواحي طرابلس الشمالية من يجهل سليمان وهو بطل حوادث الشغب وجرائم

الاختلاس والاحتيال والتهريب .

وازدادت لمياء اضطراباً وهي تشاهد سليمان يقترب منها والابتسامة الماكرة الهازئة تطفو على شفتيه . وحاولت الابتعاد عنه إلا أنه كان قد اقترب منها ومد يده اليها يصافحها ويقول : « مساء الخير أيتها الآنسة لمياء » ، واشتد الاضطراب بلمياء وهي ترغم على مصافحة سليمان . وتمتمت : « مساء الخير » قال : « أراك مرتاحة الليلة كل الارتياح يا لمياء » ، قالت : « أتريدني أن أبكي في حفلة عرس مثل هذا العرس » ؟ .

وابتسم وتمتم : « لا . أريدك دائماً على ابتسام وارتياح يا لمياء . أريدك سعيدة إلى أقصى حدود السعادة ، وهانئة إلى ابعد حدود الهناء » . وكانت عيناه تحدقان بعينيها وهو يخاطبها فوجمت : ماذا عساه يريد منها ؟ بماذا يفكر ؟ لماذا يحدجها بمثل هذه النظرات الملتهبة السافرة الحمراء ؟ . وعاد سليمان إلى الاقتراب من لمياء ليهمس في أذنها :

« أرجو أن أراك قريباً في مثل موقف نهاد يا لمياء » وصبغ الخجل خدها بلونه الوردي وهمست : « شكراً » ، والتفتت إلى فؤاد الجالس بعيداً عنها فرأته ينظر اليها بغضب وقلق . وأدركت أن الغيرة العمياء بدأت تعصف به . وخشيت غضبه . ويلها ، أيكون هذا الشاب المتهتك الحقير سبباً في اختلافها مع حبيبها . وابتعدت عنه ، عن سليمان ، واخترقت جمهور المزدحمين حتى وصلت إلى قرب فؤاد . وابتسمت له وهي تقف قربه . والتفت

اليها يقول بغضب : « بماذا كنت تتحدثين مع سليمان الصقر » ؟

وأمسكت بيديه تهمس: « يا مجنون ». وهمس: « لا أنا لست بالمجنون . انا هو العاقل يا لمياء . أنا أعرف من هو سليمان ؟ وأي رجل فاسق شرير هو . اذا شئت ان تتحدثي اليه فإياك ان تكلميني بعداليوم». وهاهذا ما يقول فؤاد، فشدت أصابعها أصابعه وهمست : « تعال نخرج الى الحديقة » قال : « اسبقيني اليها » .

وتسللت لمياء إلى الحديقة . وكان سليمان يراقبها وقد شاهدها تتحدث همساً الى شقيق العروس . ولحق فؤاد بهـــا الى الحديقة بعد قليل . ولحق سليمان بفؤاد. وكانت لمياء جالسة تحت شجرة الليمون الخضراء . واقترب فؤاد منها، وجلس قربهـــا، ووقف سليمان بعيداً عنها ، يشاهدهما من خلال اغصان الأشجار الغارقة في نور القمر الفضي الجميل . وامسكت لمياء بيد فؤاد تقول : « فؤاد ، لا تكن متسرعاً غيوراً يا حبيبي ، هذا الشاب هو الذي حدثني ، لم أحدثه ، لم التفت اليه ، لم أعره أقل اهتمام يا حبيبي » قال : « أنا أعرف انك لا تهتمي به يا لمياء. أثق بك وبإخلاصك عمياء يا حبيبتي . الا أنني إن كنت أمنعـــك من التحدث اليه فلأنني أعرف من هو وأعرف من أي طينة هو. من يراك تخاطبينه يخيل اليه انك عشيقته . وهو نفسه قد يستغل حديثك ليعلن انك هائمة متيمة به. فهو نذل يا لمياء حقير مجرم، مكانه السجن . الكل يعرفونه هنا ، لا يكاد يخرج من السجن حتى يعود اليه . التحدث اليه لا يشرفك بل هو يضر بسمعتك وبأسمك يا حبيبتي ».

قالت لمياء : « أنا أعرف من هو سليمان الصقر . ولا أعرف كيف تسلل الى هذه الحفلة يا فؤاد . انه وقح لا تقف وقاحته عند حد . هل كل ما لنا وله يا حبيبي دعنا من التحـدث عنه وحدثني عنك . عن نفسك . عن حبـــك . عن مستقبلنا يا حبيبي ، عن هوانا ، عن غرامنا يا فؤاد » وضمها فؤاد إلى صدره برفق وحنان وسكب في أذنهـــا كلمات الحب والهوى والحنـــين. وكان سليمان الصقر يستعرض العاشقين في انسجامهما والتصاقهما وعناقهما ويرتجف من الغضب .

وود لو استطاع ان يستمع الى ما يدور بينهما من حديث . الا انه خشي الاقتراب منهما وهو لا يجهل ماذا سيكون مصيره اذا شاهده فؤاد العبلان يسترق حديثه مع لمياء. وهمس في سره: « يا للمجرمة اللعينة . هي تحبه . وهو يحبها إلا انني لها بالمرصاد، ابنة مسعود الميل لن تكون لابن ناصر العبلان . لا . لن تكون لمياء لفؤاد . لمياء لن تكون الا لسليمان الصقر . أنا أحبها . أحببتها منذ أمد بعيد ولن أدع مثل هذا الوغد يسلبني إياها » .

وسار الى الحانة التي اعتاد الجلوس فيها. وجلس في زاوية من زوايا تلك الحانة الليلية ليجلس الى طاولة صغيرة ويطلب كأس عرق . وراح يحسو الكأس ويرسم الخطة . الخطة التي تكفل له ابعاد لمياء عن فؤاد . عليه اولاً ان يفرق بين العاشقين المتيمين . حتى اذا تم له ما أراد وثب الى ناصر العبلان يطلب يد ابنته لمياء . وود لو أنه يطلب يد لمياء الآن وليس غداً ، ولكنه أدرك

أنه سيكون نصيبه الفشل ان هو طلب يدها الآن. من المؤكد ان لمياء سترفض طلبه وهناك حبيبها فؤاد العبلان . عليه ان يزيح فؤاداً من الطريق أولاً ثم يعود الى طلب يدها . يزيح فؤاداً من الطريق؟ أجل ، ولكن كيف ؟ هذا مـــا راح سليمان الصقر يفكر به . واهتدى الى الوسيلة . عليه أولاً ان يراقب لمياء ، عليه ان يعلم أين ومتى تجتمع بفؤاد . هذه هي الخطوة الأولى في الطريق . أما الخطوة الثانية فسيخطوها في الوقت المناسب . سيكون عند سليمان الصقر لكل حدث حديث .

الفصل الثاني

المزاحم

سليمان الصقر يرابط في بستان مسعود المير ، يراقب من بعيد باب الدار آملاً ان تخرج لمياء من الدار واقام سليمان على انتظار محض لاهب لاسع ...

وطال انتظاره دون ان تخرج ابنة مسعود المير من الدار . وقضى الشطر الأول من النهار ولمياء لم تخرج من دار والدهـــا فبدأ سليمان الصقر يتذمر ويتبرم . وأبى ان يتزحزح من مكانه . سليمان لن يعود ادراجه الا وقد شاهد لميـــاء تخرج من الدار . فهو يريد ان يعلم الى اين تخرج وكيف تخرج من الدار ..

وبدأت الشمس تميل الى الغروب وسليمان الصقر ما زال في جلسته تحت اغصان شجرة الليمون الدائمة الاخضرار . وتأفف

سلیمان وقد بدأ الجوع يعضه بنابه . وتمنى لو انه يعود ادراجه فيتناول الطعام ثم يعود الى المراقبة الا انه أبي ان يتزحزح من مكمنه . لا لا لا . لن يبتعد عن الدار قبل ان يشفي غليله ويروي عطش حقده الدفين . وتدحرجت الشمس وراء الأفق البعيد ولمياء لم يبن لها أثر . وبدأت خيوط الظلام توشي ثوب النهار وبدأ النور يتضاءل رويداً رويداً وزحف الليل ليغمر البساتين الفسيحة الأرجاء المنتشرة في ضواحي طرابلس على هناء واطمئنان .

وعاد مسعود المير إلى داره . ولم يلبث ان عاد ابنه حبيب . وبعد وقت قصير خرج حبيب من الدار فأدرك سليمان ان حبيباً شاخص الى عشيقته الحسناء في الملهى الليلي العامر . وسليمان يعرف حبيباً ويعرف عشيقته الغانية الحسناء كل المعرفة .. وكاد سليمان ان يعود أدراجه . يبدو ان لمياء لن تخرج من الدار . لا بأس مسعود في الغد . سليمان الصقر لن يتراجع ولن يهزم ولن يتقهقر . سينتصر ، من المؤكد ان النصر حليفه في المعركة الدائرة الرحى بينه وبين فؤاد العبلان . ووقف . وهم بالمسير ، إلا أنه توقف عن المسير وهو يشاهد خصمه اللدود فؤاداً يدخل إلى دار جاره مسعود المير . وبدأت الغيرة العمياء تعصف بقلب سليمان الصقر، وتحسست يده الخنجر المصقول وود لو انه يغمد هذا الخنجر في صدر فؤاد العبلان ويخلص منه . هكذا دفعة واحدة، يطعنه بالخنجر ؟ أجل . لماذا لا يطعنه بالخنجر ؟

وراقته الفكرة وابتسم . لا بأس سيظل حيث هو . تحت أغصان شجرة الليمون ، ينتظر خروج فؤاد العبلان . وما أن يخرج فؤاد ويتوغل بين اشجار الليمون في طريقه إلى داره القريبة من دار لمياء ، حتى يثب اليه من الوراء وينهال عليه بالطعن ، وعندما يقع فؤاد في الارض مضرجاً بدمه يكون سليمان قد طار بين الارض والسماء .

وعاد سليمان الى الجلوس على الارض تحت الشجرة الوارفة الاغصان يراقب خروج فواد من دار لمياء وقد اشتدت الغيرة عصفاً بفؤاده . ونسي عناءه ، ونسي جوعه ، ونسي عطشه ، نسي كل شيء ولم يذكر الا الانتقام الرهيب من ذلك الشاب الوسيم الانيق الذي يزاحمه على قلب من يحب ويهوى . وعاد إلى الانتظار ، وطال انتظاره دون ان يخرج فؤاد من دار مسعود المير . وايقن سليمان ان فؤاداً سيقضي سهرته في دار جاره . هو لن يخرج من الدار قبل انقضاء الشطر الاول من الليل . لا بأس سينتظره ولو طال انتظاره حتى مطلع الصباح .

وراح سليمان الصقر يدخن بنهم وجشع وجنون . ومضى الوقت على بطء واتئاد ، وعاد الى التبرم والتأفف والتذمر ، وأبى ان يتزحزح من مكانه . لا ، هو لن يعود الا وقد انهى مهمته وقضى على ابن ناصر العبلان . وانصرف الى التفكير مجدداً أيجوز له ان يفتك بفؤاد ؟ أجل . لماذا لا يجوز ؟ ولكن

ألا يفضح أمره ويكون مصيره السجن ؟ لا . لن يفضح أمره ، وكيف يفضح السر وليس ثمة من يراه . فؤاد لن يخرج الا عند منتصف الليل . عندما يكون الجميع نياماً في ضواحي طرابلس .

ولكن ألا يجوز ان يشاهده أحد وهو يهاجم فؤاداً من الوراء وينهال عليه بالطعن ، لا سيما ونور القمر الفضي يغمر تلك الانحاء ويمزق ستر الظلام الدامسة السوداء ؟ لا لا . لن يراه أحد . المهم هو ان لا يترك لفؤاد اثراً للحياة . اذا قدر لفؤاد أن يشفى من جراحه فسيكون نصيب سليمان السجن . واذا قضى عليه اذا قتله ماذا ستكون النتيجة ؟ ستكون النتيجة الظفر بلمياء الحبيبة ! ولكن .. وعاد إلى كلمة ولكن يتوقف عندها . ولكن اذا قتل فؤاداً وفضح سره ماذا سيكون نصيبه ؟ لن يكون نصيبه السجن فحسب بل سيكون نصيبه الاعدام .

وارتعش سليمان واضطرب وخاف وهو يذكر حبل المشنقة . وكاد يعود عما عزم عليه إلا انه همس في سره : « لا تكن من الجبن في القمة يا سليمان

كن شجاعاً ولا تخف » .

وعزم أخيراً على تنفيذ الخطة المرسومة . عندما يخرج فواد من دار مسعود المير سيلحق به ويثب اليه من الوراء وينهال عليه بالطعن ويتخلص منه . وعاد الى تدخين لفائف التبغ بنهم وجشع

وهو يراقب باب الدار من خلال أغصان الليمون الخضراء ، وطال انتظاره . وبدأ الليل يقترب من الانتصاف وفواد لم يخرج من دار حبيبته . وعاد سليمان للصقر إلى التأفف والتبرم . وأبى ان يغادر مكانه إلا وقد نفذ الخطة المرسومة . من المؤكد ان فؤاداً سيخرج من دار مسعود المير . هو لن ينام في دار مسعود . لا بد له من الخروج ولا بد لسليمان من الانتقام .

وانتظر طويلاً ، واخيراً بعد الانتظار الممض الطويل خرج فؤاد العبلان من دار مسعود . فارتجف سليمان واضطرب ووقف بكل حذر ينتضي الخنجر المصقول ويتأهب للانقضاض على الفريسة . وسار فؤاد بين أشجار الليمون . وسار سليمان بعيداً عنه بكل حذر واتئاد . وفجأة توقف فؤاد عن المسير فتوقف سليمان أيضاً يراقبه بحذر . وتساءل سليمان : ترى لماذا توقف فؤاد عن المسير ؟ أيكون شاهده ؟ وخاف سليمان . فهو يعلم يقيناً انه لن يستطيع ان يتغلب على ابن عاصر العبلان القوي العضلات العامر الصدر المفتول الساعدين ؟

وبدأت نبضات قلب سليمان ترتفع وهو يشاهد فؤاد يجلس فوق صخرة متواضعة تحت شجرة الليمون . وهمّ بالهرب ، ما عليه إلا أن يركن للفرار قبل ان يهاجمه فواد العبلان . وسار خطوة واحدة واذا به يشاهد لمياء ابنة مسعود المير تخرج من دار والديها متشحة بثوب فضفاض جميل احمر اللون وتسير نحو

فؤاد . وهمس سليمان في سره : « يا للمجرمة الفاحشة . فهي تراقبه إلى البستان لترشف واياه كؤوس الهوى والغرام »، وعاد الى الاختباء وراء أغصان الأشجار. وشاهد لمياء تقترب من فؤاد فيلقف فؤاد فاتحاً لها ذراعيه وترتمي بين ذراعيه فيضمها إلى صدره .

وأخذ سليمان الصقر يرتجف من الغيرة والغضب ، وهمّ بأن ينقض عليهما معاً ، الا انه خشي سوء العاقبة . فهو يخاف أن يهوى فؤاد عليه بالضرب واللطم واللكم وتكون النتيجة انتصار فؤاد واندحاره هو . والضرب واللطم واللكم يهون لديه عند اندحاره وفضيحته أمام لمياء . ماذا ستقول لمياء وهي تشاهده يقع على الأرض أمام حبيبها فؤاد . من المؤكد انها ستفخر بفؤاد وستحتقره هو .

وأبى سليمان أن يعرّض نفسه للخطر وسمعته امام لمياء للاهانة فاكتفى بالوقوف تحت شجرة الليمون وباستعراض العاشقين المتيمين في عناقهما وقبلاتهما وحنينهما العميق البعيد السحيق القرار .. وأبى ان يخرج من البستان ويعود ادراجه إلا وقد اطمأن إلى عودة لمياء وانسلاخها عن صدر فؤاد .

ولمياء لم تبتعد عن فؤاد إلا وخيوط الفجر تنسج ثوب الصباح الزاهر الزاهي الجميل . وما ان دخلت لمياء إلى دارها وسار فؤاد الى داره حتى كان سليمان الصقر يلملم جراح قلبه ودموع

عينيه ويسير بدون وعي وبحياء الى داره ليستلقي على سريره وينصرف الى التفكير العميق بألم وعذاب . ورأى ان يجري تعديلاً على الخطة المرسومة. لن يلطخ يديه بدم فؤاد العبلان. بل هو سيقضي على فؤاد دون ان يضطر إلى انتضاء خنجره اللامع المصقول . واستطاع ان يرسم خطة مضمونة النجاح . وانغمس في سريره وقد ارتاح الى الخطة المرسومة . واستغرق في نوم ثقيل .

الفصل الثالث

الوشاية

الملهى الليلي العامر يغص بالزبائن الكرام في عاصمة الشمال . والزبائن في الملهى الليلي من كل طبقة ومستوى ولون .

فهناك البيروتي وهناك الطرابلسي وهناك الجبيلي وهناك شبان من الأقطار العربية الشقيقة ، وهناك الشاب المتيم الولهان الذي جاء ليشاهد حبيبته الراقصة وينعم بالتحدث اليها وارتشاف كأس خمر معها ، وهناك الرجل الثري الذي جاء مع بعض الاصدقاء لاحتساء كأس من العرق . وهناك الكهل الذي يعشق تلك المطربة الحسناء التي تكاد تكون في عمر ابنته . وهناك مهرب الحشيش جاء ليجتمع في الملهى بأفراد عصابته . وهناك

المولع بالفن والطرب جاء ليمتع نظره بالفن ويشنف اذنيه بالطرب .

وازدحم الملهى الليلي العامر بالزبائن الكرام . وعلت الموسيقى وتهادت القدود الرشيقة المياسة على المسرح . وانتشر دخان التبغ والتنباك في فضاء المسرح كالضباب الواهي النحيل وانصرف كل من الزبائن إلى الاهتمام بما يروق له . هذا بالرقص وذاك بالغناء وذلك بالخمر .

وهناك في زاوية من زوايا الملهى الفسيح الأرجاء ، تحت مصباح كهربائي واهي النور مبحوح الضياء جلس حبيب مسعود الير شقيق ليلى ، قرب حبيبته الغادة الحسناء يرشف الخمر وإياها ويتبادلان أحاديث الحب والغرام . واذا بالشاب سليمان الصقر يدخل الملهى على تيه ودلال ، لفافة التبغ ملقاة دون اكتراث بين شفتيه الواهيتين وعيناه مفتوحتان نصف فتحة أو هما مطبقتان نصف اطباقة ، وراح سليمان الصقر يدور في الصالة وكأنه يبحث عن شيء أضاعه .

واهتدى إلى ما أضاع ، أو بالاحرى هو اهتدى إلى من أراد . واتجه اليه ، إلى حبيب الير الجالس قرب حبيبته على سعادة هانئة ولذة وانشراح . واقترب منه ، من حبيب والابتسامة تطفو على شفتيه.. وبادله حبيب الابتسامة بالمثل ووقف قرب حبيب فاتسعت ابتسامته الماكرة الصفراء وتمتمت شفتاه فارتجفت لفافة التبغ بينهما : « مساء الخير يا حبيب » .

وتمتم حسيب : أسعد الله مساءك يا سليمان ، وخيل لسليمان ان حسيباً سيدعوه إلى مشاركتها إحتساء الخمر ، إلا انه كان على ضلال فلم يكلف حسيب خاطره عناء دعوة سليمان للجلوس . هو يريد أن يظل وحده قرب الغادة الحسناء فــلا يعكر صفو خلوتها أحد .

وأبى سليمان أن يبتعد عنها بل وقف قرب مقعد حسيب يتحدث اليه حديث مودة وصداقة واخوة . وكان يريد ان يرغم حسيباً على دعوته إلى الجلوس إلا انه لم يستطع أن يجر حسيباً إلى ما يريد . وأخيراً وبعد ان طال وقوفه ، جاء بكرسي وجلس قرب حسيب . وصفق للخادم فأقبل الخادم ينحني أمامه ويهمس : « بماذا يأمر البيك » وقــال « البيك » : « هات زجاجة ويسكي » .

وعاد الخادم الى الانحناء مجدداً وكان انحناؤه هذه المرة أكثر منه في المرة السابقة حتى كاد وجهه أن يلامس الأرض ، لا بأس ، من يطلب زجاجة ويسكي دفعة واحدة يستحق مثل هذا الانحناء.. وظهر القلق والارتبــاك على وجه حسيب . فهو لا يملك ثمن زجاجة الويسكي . ويله ، ماذا عليه ان يفعل أمام صديقته الغانية الحسناء ؟ لقد أوقعه سليمان الصقر في مأزق حرج لا يعلم كيف سيخرج منه . وادرك سليمان مــا يجول بخاطر حسيب فاقترب بفمه من اذنه وهمس : « لا تخف أنا سأدفــع

الحساب . انت ضيفي الليلة يا حسيب » وارتاح حسيب . الحمد لله . لقد انقذه سليمان من الورطة التي القاه بها . هو القاه في الورطة المحرجة وهو الذي انتشله منها . وجاء الخادم بزجاجة الويسكي فراح سليمان يصب الخمر في الكؤوس الثلاث ، كأسه وكأس صديقه حسيب وكأس صديقته الغانية الرائعة الجمال .

وراح سليمان يحدثهما ويسامرهما ويبالغ في تكريمهما وطالت جلستهم وهم غارقون في المسايرة والمسامرة واحتساء الخمر . وانتصف الليل وهم لا يتزحزحون . وتبرم حسيب وتبرمت صديقته الحسناء وهما يتغامزان على سليمان . وشاهدهما سليمان وأدرك انهما يتبرمان به إلا انه أبى ان يفسح أمامهما سبيــل الخلوة . فهو بحاجة الى حسيب مسعود ولن يبتعد عنه إلا وقد أنهى حاجته . .

وانقضى الشطر الأول من الليل وسليمان لا ينفك جالساً قرب حسيب المزعج . وسار الليل خطواته في الشطر الثاني وسليمان الصقر لا يتزحزح . ودقت الساعة الواحدة بعد منتصف الليل ، ثم دقت الساعة الثانية ، والثالثة ، حسيب وعشيقته وسليمان جالسون يحتسون الخمر ويتحدثون . ونظرت الغادة إلى الساعة المشدودة إلى معصمها وتمتمت : الساعة تدق الآن الثالثة . أنا مضطرة للانصراف . وحاول حسيب أن يرغمها على البقاء قربه الا ان سليمان بادرها بقوله : مع السلامة ، أنت تعبة كما يلوح لي ،

وليس من الحكمة ان تجهدي نفسك في السهر الطويل ».

ومدت الحسناء يدها البضة البيضاء الى حبيبها حبيب تصافحه وتهمس في اذنه : « الى الغد يا حبيبي » وهمس : « الى الغد » وسارت تتهادى في سيرها يميناً ويساراً فشيعها حبيب بنظرة حالمة وهي ملتهبة السعير . وهمّ حبيب بالانصراف الا أن سليمان أمسك بيده يقول : « اجلس يا حبيب اجلس . لي عندك حديث طويل يا أخي » وأرغمه على الجلوس . ورفع كأسه . الملأى الى شفتيه متمتماً : « بصحتك » . وشرب حبيب ما في كأسه . وقدم له سليمان لفافة أشعلها وتمتم : « الحقيقة يا حبيب هي انني لا اعلم كيف أبدأ الكلام معك يا أخي . فهناك أمر هام أريد ان أتحدث به اليك » وتمتم حبيب باستفهام : « أمر هام ؟ ما هو ؟ » قال : « أمر يتعلق بشرفكم وسمعتكم وبكرامتكم يا حبيب وانا ممن يغارون على الكرامة والسمعة والشرف » فوجم حبيب المير ودهش . ماذا يقول سليمان الصقر ؟ وما هو هذا الأمر الهام الذي يريد التحدث عنه ؟. وعاد سليمان الى الكلام ليقول : « أرجو أن تتأكد من غيرتي على شرفكم أولا يا حبيب . أنا لولا غيرتي لما تجشمت عناء الحضور الآن الى هذا الملهى لأطلاعك على ما يدور حولكم من مؤامرات واسرار... وازداد حبيب دهشة وقلقاً واضطراباً وهو يسمع من سليمان هذه المقدمة الطويلة وتمتم : « قل ، قل ، ماذا تريد ان

يا سليمان ؟ » وقال سليمان : « أريد أن الفت نظركم إلى تصرفات الآنسة لمياء يا حبيب » .

وبدأ الغضب يطل من عيني حبيب وسليمان يتحدث اليه بشأن أخته وهدر بغضب : « ما بها لمياء ؟ ما بها ؟ » فأطلق سليمان ابتسامة يغمرها المكر ويلفها الخبث والرياء وتمتم : « لعن الله النساء كم يحملن الينا من المصائب والويلات » وبدأ حبيب يفهم ، بدأ يدرك ان الأمر هام خطير فأمسك بيد سليمان يشدها بغضب ويهدر : « أوضح أوضح ، ما بها لمياء ؟ ما بها أختي » ؟

وتظاهر سليمان الصقر بالأسف الشديد وهمس : « اختك يا حبيب ستحمل لكم العار وستنزل بكم فضيحة ما بعدها فضيحة » وأشتد الغضب بحبيب وجحظت عيناه وتمتم : « كاذب ، كاذب . أختي مثال الشرف ورمز النبل والكرامة . أنا لا اسمح لك بأن تهينني في شرفي ، لا أسمح لك بأن تطعنني في كرامتي . انهض ابتعد عني . اياك ان تتذكر اسم اختي في فمك بعد الآن » .

ومضى سليمان الصقر في ابتسامته الماكرة وهمس بدهاء : « أنا لو كنت مكانك لفعلت ما تفعل الآن . لقلت ما تقول ، لنطقت بما تنطق . كلنا يخيل الينا أن نساءنا مثال الكرامة المثالي ورمز الشرف الأبيض الأصيل » . قال حبيب : « أختي تختلف عن جميع النساء » . فقهقه سليمان الصقر وتمتم : « وأنا

أيضاً أقول هذا . كل واحد يقول ما تقول أنت يا حسيب » .
قال : «انها لتتربع على قمة الشرف والعفاف » . فعاد سليمان إلى
الابتسام الماكر ليقول : « ومن أجل هذا من أجل هذا الشرف
الذي تتربع به اختك الآن أريد أن أطلعك على السر يا حسيب
لئلا تتزلق الآنسة لمياء وتضيع هذا الشرف » . ووقف حسيب
المير يهدر بصبر نافذ : « قل ، قل ، ماذا تريد ان تقول » .
قال سليمان : « اجلس اجلس » . وعاد حسيب إلى الجلوس ،
وأمسك سليمان بيده ليقول : « لو لم يكن لدي البرهان القاطع
لما حملت اليك الخبر يا حسيب . اختك تطعنك في الظهر ، انها
لتخلو كل ليلة بعد منتصف الليل في بستانكم تحت أشجار الليمون
بجاركم فؤاد العبلان » .

وأخذ حسيب يرتجف من الغضب وهمدر : « لا ، لا ، لا
مستحيل ، مستحيل ، اختي فتاة شريفة طاهرة ، أنت كاذب يا
سليمان الصقر ، أنت كاذب ، انني لأدعوك إلى المبارزة أيها
النذل » . ولم تختف ابتسامة سليمان الصقر عن شفتيه ، بل هو
مضى في الابتسام ليقول : « خفف عنك يا أخي ، أنا أعلم ان
الكارثة كبيرة وان المصيبة هادمة إلا على الانسان أن يكون
« اكبر » من المصيبة ، لا بأس . أنت تستطيع أن تبعد اختك
عن طريق الضلال وهي لا تزال في أول الطريق ، وتعيدها الى
سبيل النور والضياء » . فعاد حسيب إلى الهدر : « كاذب ،
كاذب » . إلا ان سليمان شدّ بيده وهمس : « قلت لك لديّ

البرهان القاطع الساطع » قال : « ما هو برهانك ؟ هاته » .
فنظر سليمان الى الساعة المشدودة في معصمه وتمتم : «الساعة الآن
الثانية والنصف من الليل اذا شخصت الى بستانكم دهمتهما معاً
بالجرم المشهود » .

وذعر حسيب المير، ووقف يهم بالمسير وهو يهدر : « اذا
صح ما تدعيه فأنا سأفتك بها ، وسأذبحها من الوريد الى الوريد
وأغسل عارها بدمها وأخلص منها » ، وانتقل الذعر من حسيب
الى سليمان . ويله . ماذا فعل ؟ أيكون هو السبب في القضاء على
حبيبته لمياء؟ وعاد يمسك بيد حسيب ويتمتم : « لا يا حسيب
لا تكون مجنوناً يا أخي . قلت لك اختك فتاة نبيلة شريفة
طاهرة الذيل . هي ليست مجرمة . المجرم هو ذاك النذل الذي
اتخذته صديقاً لك فخانك في شرفك ، المجرم هو جارك يا
حسيب . هو فؤاد العبلان الذي غرّر باختك ودفعها الى السير
في طريق الضلال . اذا شئت ان تنتقم فعليك أن تنتقم من فؤاد
العبلان » . قال حسيب بغضب : « أنا سأفتك بفؤاد اذا صح ما
تدعيه . واذا اتضح لي انك كاذب فأنا سأفتك بك أنت ، سأنتقم
منك هل تفهم » ؟

وهمّ بالمسير فأمسك سليمان بيده ليقول : « هل تحمل سلاحاً ،
قال : « لا » . وابتسم سليمان ابتسامة المكر والدهاء وهمس :
« خذ خنجري ، انني لأخشى ان يتغلب عليك فؤاد يا أخي

حسيب . فهو كالوحش المفترس الكاسر » . وانتزع سليمان خنجره المصقول بقدمه « لأخيه » حسيب وهو يتمتم : « سر الى الانتقام لشرفك وليأخذ الله بيدك يا اخي حسيب . الشرف أغلى مـــا في الحياة . كل شيء يهون في سبيل المحافظة على الشرف والنبل والكرامة » .

وتناول حسيب المير الخنجر من يد سليمان واخفاه في جيبه وسار بغضب شديد وكأنه يسير على نار وحراب ، وأطلـــق سليمان ابتسامة زاهرة زاهية وهو يشاهد حسيباً في قمة غضبه . وأدرك ان الغضب الشديد سيهيب بحسيب الى الفتك بفؤاد . سيقف متفرجاً من المعركة دون ان يكلف خاطره عناء تلويث يديه بالدم . حسيب المير يفتك بفؤاد عبلان . فيذهب فؤاد الى القبر ويذهب حسيب الى السجن ويظفر هو ، سليمان ، بحبيبته لمياء ويذهب وإياها الى اعالي الجبال لقضاء شهر العسل . وجرع كل ما في كأسه من الخمر وقد ارتاح للخطة السائرة الى التوفيق . ونفث دخان لفافته في الفضاء وقد غمر قلبه الاطمئنان الوارف الرحيب .

وفجأة لاح في رأسه خاطر سريع . مـــاذا قال له حسيب المير قبل ان يغادر الملهى العامر الفسيح ؟ قـــال : « اذا كنت كاذباً في ما نقلت اليّ عن اختي فأنا سأنتقم لشرفي منك ، سأفتك بك أنت هل تفهم ؟ » ترى هل يتخلف العاشقان ، فؤاد ولمياء

عن الخلوة في البستان الليلة فيذهب حسيب الى هناك ولا يجدهما ويدخل الى دارهم ليجد اخته تغط في نومهـــا ؟ وذعر وهذا الخاطر السريع يمخر رأسه . مـــاذا تكون النتيجة اذا لم يدهم حسيب فؤاداً ولميـــاء بالجرم المشهود في البستان ؟ سيعود اليه لينفذ تهديده ويفتك به . سيخيل اليه ان اخته ترتع في رحاب الشرف وفسيح العفاف . وان الوشاية كاذبة . وستفشل الخطة المرسومة فلا يذهب فؤاد الى القبر ولا يدخل حسيب الى السجن ولا يظفر سليمان بلمياء .

وندم على تهوره . كان الأجدر به ان يتأكد من اجـــتماع العاشقين في بستان الليمون قبـــل ان يوفد اليهما حسيباً . لقد اخطأ ، الخطة لم ترسم باتقان ولا هي وضعت بمهارة . لقد اسرع في التنفيذ قبل ان يضمن لهـــا الفوز . وقلق سليمان الصقر ، واضطرب وعصفت الهواجس والأوهام في نفسه . ولم يستطع الجلوس فنهض ليدعو خـــادم الملهي اليه فينقده قيمة الحساب ويخرج من الملهى لاحقاً بحسيب المير الى بستان الليمون . فهو يريد ان يعلم مصير خطته ، يريد ان يعرف هل نجحت الخطة المرسومة ؟ هل دهم حسيب اخته وعشيقها بالجرم المشهود ؟ هل فتك حسيب بفؤاد ؟ .

ماذا جرى ؟ سليمان الصقر لم يعد يستطيع الانتظار الى الغد لمعرفة النتيجة . يريد ان يتأكد من نجاح خطته الآن ، الآن

وليس غداً .

وسار على سرعة الى الناحية الشمالية من ضواحي طرابلس . وكان نسيم الليل العليل يلفح وجهه فلا يحس به . انه منصرف الى التفكير بماذا سيكون . واسرع في مسيره . وكان وقع خطواته السريعة يمزق هدوء الليل ويخدش السكون الرهيب ، والليل هادىء النسمات بارد ، ساكن كئيب ، وكل شيء واجم خاشع . فكأن ثمة عاصفة تتأهب للهبوب . وكان سليمان الصقر يسير منخفض الرأس يداه في جيبه واللفافة بين شفتيه والافكار الممضة المقلقة المرهقة تعصف به . ترى ، هل يوفق حبيب المير الى الفتك بفؤاد العبلان ؟

ووصل الى الضواحي . واقترب من بستان مسعود المير بكل حذر فتصاعدت نبضات قلبه على اندفاع وارتعاش . وأرهف أذنيه من بعيد ، وتوقف عن المسير وهو يسمع الضجة والصراخ والعويل والشتائم والولولات آتية اليه عبر أشجار الليمون المنتصبة في بستان مسعود المير . وعرفت شفتاه الابتسام وهو يسمع الصراخ والعويل واقترب ، ودخل الى البستان ليشاهد من بعيد جمهوراً من النساء والرجال والأولاد يتراكضون ويصخبون . واقترب ، واستطاع ان يلتقط بعض الكلمات . « مسكين ، انه غارق بالدم . فؤاد العبلان » ..

وهمس في سره : « الحمد لله » لقد نجحت الخطة المرسومة .

وعاد الى الاقتراب ، وسمع امرأة تحدث رفيقتها فتقول : « يقولون ان حبيب المير طعن فؤاد العبلان » . وقالت الرفيقة متسائلة : « لماذا ؟ » وانبرت امرأة ثالثة توضح الأمر فتقول : « كان فؤاد مع اخت حبيب في البستان » . ورفعت احدى النساء يدها الى صدرها وهمست : « الله يقصف عمر جنسنا فنحن أصل كل سبب » .

وتعالى الهمس وتعددت الأحاديث وكان الصراخ لا يزال يتصاعد والشبان يندفعون نحو مكان الأصوات وفي يد كل منهم خنجر أو عصا أو مسدس . وعاد سليمان الصقر الى المسير متقدماً الى آخر البستان مع المتقدمين . ووصل الى حيث يقصد وكان ثمة معركة دامية بين بعض الشبان . منهم من هو من ابناء العبلان وأصدقائهم . وكان هناك فؤاد العبلان ملقى على الأرض والدماء تنزف من جراحه .. واتسعت ابتسامة سليمان الصقر وقد تأكد من نجاح خطته .

وتقدم من احدى النساء يسألها : « هل مات فؤاد العبلان؟» فهو يريد ان يطمئن الى موته . لقد حكم على فؤاد بالموت . اذا لم يمت فؤاد فيكون سليمان قد ضمن نصف الفوز لا كله . يكون قد أوقع بين آل المير وآل العبلان ولكن فؤاد ولمياء . ماذا سيحدث بينهما . هل يفترقان ؟ هل يبتعد فؤاد عن لمياء وتبتعد لمياء عن فؤاد ؟ لا . من المؤكد لا . قد تهرب لمياء من دار أهلها

وتلحق بفؤاد . ان الحب اقوي من كل شيء في الحياة . ترى هل يستطيع العداء المستحكم بين آل العبلان وآل المير ان يفرق بين ابنة المير وابن العبلان ؟

ووجم سليمان الصقر والمرأة تجيبه : « لا ، لم يمت ، ألا تراه جريحاً في الأرض » ؟ وحاول سليمان الاقتراب من فؤاد ليتأكد مما تقول المرأة ، الا ان رجال الدرك كانوا قد وصلوا وأخذوا يفرقون المتشاجرين ويعتقلون بعضهم وفي مقدمتهم حسيب المير شقيق لمياء ، وصادروا الخنجر الملوث بالدم من حسيب ونقلوا الجريح فؤاد العبلان الى المستشفى وبدأوا التحقيق .

ولحق سليمان الصقر برجال الدرك الى المستشفى ، الى مستشفى الدكتور بيسار في طرابلس ، فهو يريد ان يعلم هل مات فؤاد ؟ هل هو سيموت ؟ هل ان جراحه مميتة أم تراها بسيطة لا تدعو الى القلق ؟

واقتحم سليمان المستشفى متظاهراً بالأسف . ووثب الى الدكتور بيسار يسأله : « ماذا أيها الطبيب أتكون جراحه خطرة ؟ أرجوك اخبرني الحقيقة . أريد ان اطمئن الى صحة أخي فؤاد » .

وابتسم الطبيب وقد خيل اليه ان سليمان صادق في ما يقول وتمتم : الحقيقة ان جراحه خطرة الا اننا سنعمل جاهدين على

انقاذ حياته . الثقة بالله كبيرة .

ودخل الدكتور الى غرفة الجراحة ولحق به الاطباء واوصدوا الباب . وجلس سليمان الصقر أمام الباب ينتظر خروج الأطباء لمعرفة مصير خصمه اللدود فؤاد العبلان . هل يموت ؟ أم ترى يستطيع الطب ان يحول بين فؤاد وبين القبر ويخيب أمل سليمان الصقر العاشق المتيم الولهان ؟

الفصل الرابع

الجريح

لم يمت فؤاد العيلان . فقد تمكن الطب من انقاذ حياته التي كانت مهددة بالخطر . فالجراح التي أصابه بها حسيب المير كانت على ثخانة وعمق .

كل طعنة من الطعنات الثلاث في صدر وظهر وعنق فؤاد كانت كافية للقضاء عليه . إلا أن الله لم يكن قد أمر بانتهاء حياته فنجت حياته من الموت بعد ان بذل الاطباء الطرابلسيون الجهود الجبارة في سبيل انقاذه من أشداق عزرائيل . وخيب أمل سليمان الصقر ، وعاد إلى منزله والغضب الشديد يعصف به ويلهب حناياه . وعادت الهواجس والافكار الممضة المقلقة اللاسعة

تنخر قلبه وتحرمه لذة الحياة .

وانقلبت هواجسه الى خشية وخوف واضطراب . فقد خشي أن يفضح حسيب أمره وقد أصبح حسيب بين أيدي القضاء . من المؤكد أن حسيباً سيبوح بالسر . سيعلن أمام المحقق أن الخنجر المصقول الذي طعن به صدر فؤاد العيلان هو خنجره ، خنجر سليمان . وسيعترف بأن سليمان أخبره بأن فؤاداً يخلو بشقيقته لمياء في البستان الواسع الأطراف ويقول : « سليمان الصقر أطلعني على الحقيقة وأخبرني بأن فؤاداً ينهش عرضي وأعطاني خنجره وقال لي : « إذهب وانتقم لشرفك الأثيل » .

هذا ما سيقوله حسيب المير . وماذا ستكون النتيجة ، سيطلب سليمان للمثول امام المحقق . ومن غرفة المحقق سيذهب إلى السجن . فهو المحرض على محاولة القتل . والخنجر خنجره والمؤامرة مؤامرته ، والسجن سيكون مأواه . وليت الأمر يقف عند هذا الحد ، عند حد السجن ولا يتعداه إلى الفضيحة . سيعلم الجميع . آل العيلان وآل المير بأن المحرض لم يكن إلا سليمان . وسيصل الخبر إلى لمياء . وستدرك لمياء ان الغيرة العمياء هي التي دفعت سليمان لحبك المؤامرة . وهو سيخسر لمياء إلى الأبد . ما العمل اذن ؟ ليس يدري ما العمل !

وفكر سليمان الصقر بالهرب ، عليه ان يهرب ، أن يركن

للفرار ، أن ينجو بنفسه قبـــل ان تطبق عليه أبواب السجن وتنتشر الفضيحة وتفوح رائحة المؤامرة الفاشلة الدنيئة . يهرب؟ أجل ، يجب ان يهرب . ولكن الهرب يلصق الجريمة به . إلى أين سيهرب وثمة رجال التحري لا تفوتهم شاردة ولا تغيب عن عيونهم واردة . سيلاحقه رجال التحري إن هو هرب ويطاردونه ويعتقلونه ويجرونه إلى السجن مكبلاً بالقيود . لا ، لا ، لا ، لن يهرب . والهرب يجره الى الفضيحة أكثر من بقائه حيث هو . وأقام سليمان في داره يرقب نتيجة التحقيق على قلق واضطراب .

وجاءته النتيجة ، جاءته في الصحف . فقد نشرت الصحف اللبنانية تفاصيل الجريمة ، ولم تأت على ذكر اسمه وعـــادت الصحف تنشر نتيجة التحقيق ولم تذكره لا بالخير ولا بالشر ، وبـــدأ الاطمئنان يغمر قلب سليمان الصقر . فازداد اطمئنانا والصحف تنشر بعد أيام اعترافات حبيب المير . وكانت الصحف تقول : « اعترف حبيب المير بانه أقدم على طعن فؤاد العيلان دفاعاً عن شرفه . وقـــال : كنت عائداً من السهرة إلى داري فشاهدت اختي بين ذراعي جارنا فؤاد . وصعد الدم إلى رأسي ولم أشعر إلا ويدي تمتد إلى خنجري ، فانتضيت الخنجر ووثبت إلى فؤاد أثخن صدره وعنقه بالجراح » . هذا كل ما جـــاء في اعترافات حبيب .

واطمأن سليمان وهو يطالع ما نشر في الصحف . الحمد لله

حبيب المير لم يفش السر . ليحيي حبيب المير وليعش . . وخرج من الدار بعد أن كان قد حبس نفسه فيها أياماً عديدة . وراح يتنسم أخبار لمياء . لمياء حبيبة قلبه وروحه ماذا حل بها؟ ماذا أصابها ؟ أخوها في السجن الآن وحبيبها في المستشفى والمجال فسيح أمامه للظفر بقلبها الندي . وجاءته الأخبار تفرح القلب وتنعش الخاطر . لمياء سجينة في دار والديها . فقد حرّم الوالدان عليها الخروج من الدار بعد ان نكبتها في شرفها وطعنتها في الصميم . ماذا عليه ان يفعل الآن ؟ عليه ان يمتحن ذكاءه ومقدرته ونبوغه . الآن دقت ساعة الامتحان وعنـــد الامتحان يكرم المرء او يهان . وعاد إلى التفكير من جديد . فهو يفكر بطريقة توصله الى قلب لمياء منذ أمد بعيد وهو يحلم بذاك اليوم السعيد ، يوم تصبح لمياء المير زوجته ويصبح هو زوجها الكريم المصون ، وها ان القدر أوصله إلى منتصف الطريق ما عليه الآن إلا أن يسير النصف الثاني من الطريق القريب القريب .

واهتدى إلى الوسيلة التي تنيله أمانيه . عليه أن يشخص إلى دار مسعود المير ويطلب يد كريمته لمياء . الفرصة سانحة الآن لطلب يدها . من المؤكد أن والدهـا لن يرفض الطلب بعد ان وصمته ابنته بالذل والعار ، فهو يريد الآن ان يخلص منها ومن عارها ، سيوافق مسعود المير على طلب سليمان وتزف لمياء اليه . وتنجح الخطة المرسومة ويظفر سليمان الصقر بالحسن والجمال . . وربما ظفر أيضاً بالمال . واسرع سليمان الى دار عمه المتيد مسعود

المر والأمل يلف روحه ويغمر حناياه . سليمان لن يؤجل أعماله الى الغد. وقد قيل : لا تؤجل للغد ما تستطيع أن تفعل اليوم . ان خير البر عاجله .. ووصل سليمان إلى دار مسعود المير .

ووقف أمام الدار يطرق الباب وهو يحمل قلبه بيديه . ترى ماذا ستكون النتيجة ؟ بماذا سيجيبه مسعود المير ؟ هل يوافق على طلبه أم تراه يرفض الطلب وتضيع على سليمان الفرصة السانحة ؟ ولم يطل انتظاره . فقد فتح الباب وأطل منه مسعود المير والألم والأسى يطلان من عينيه . وتمتم سليمان الصقر : « صباح الخير أيها السيد مسعود » . وانفرجت شفتا مسعود عن تمتمة : « صباح الخير » . وافسح مسعود الطريق امام سليمان للدخول فدخل ، وقاده الى غرفة الاستقبال . ودعاه للجلوس . وجلس سليمان ، وجلس مسعود قربه . وقدم له لفافة وساد الصمت بينهما فلا مسعود تكلم ولا سليمان .

وقطع سليمان حبل الصمت بعد قليل ليقول : « كيف الأحوال ايها السيد مسعود ؟ » وتمتم مسعود : « بألف خير يا ابني » . ورأى سليمان ان يقتحم الموضوع الذي جاء من أجله فوراً فهمس : « كيف حال الآنسة لمياء » ؟ وتردد مسعود في الجواب وقد خيل اليه ان الشماتة تطل من سؤال سليمان الصقر . وعاد سليمان الى الكلام ليقول : « أرجو ان تكون الآنسة لمياء بخير ايها السيد مسعود . فأنا أحفظ لها في قلبي الاحترام

الكامل والمحبة الصادقة » . وتمتم مسعود : « شكراً يا بني شكراً » . وقال سليمان : « الحقيقة يا سيدي هي انني ما جئت اليكم اليوم الا من أجل الآنسة لمياء » . فدهش مسعود المير لما يقول سليمان، واعتصم بالصمت . وتمتم سليمان : « لي عندكم طلب أيها السيد مسعود ولا اخالكم تردون لي هذا الطلب » . ولم ينبس بحرف... ونفث سليمان دخان لفافته في الفضاء وتمتم : « ان ما لمسته في كريمتكم المصون من تقى وفضيلة وتهذيب وجمال يهيب بي الى طلب يدها » . وظهر الوجوم على وجه مسعود المير ونفث دخان لفافته في الفضاء بغضب وتمتم بعد صمت قصير : « إسمع يا ابني . أنا لن اوافق على طلبك » . واضطرب سليمان . وتابع مسعود الكلام ليقول : « ولن ارفض الطلب . لإبنتي ان ترفض او أن توافق . سأنقل اليها رغبتك في الزواج منها . عد إلي غداً فأرد اليك الجواب » .

وابتسم سليمان الصقر ومسعود يعده برد الجواب في الغد . ونهض مودعاً ومتمتماً : « أرجو يا سيدي ان يكون الجواب بالايجاب . ثق ان الرفض يحطم حياتي ويذيب قلبي ويهيب بي إلى التفكير بالانتحار » . وتمتم مسعود : « لا يا بني . ليس ثمة ما يدعو الى التفكير بالانتحار . اذا لم توافق لمياء على الزواج منك يمكنك ان تبحث عن سواها . الفتيات كثيرات لن تفشل في الوقوع على فتاة أبعد جمالاً واعمق تهذيباً من ابنتي » . قال : « لا يا سيدي . أنا لن استطيع ان اقع على من هي في مستوى

الآنسة لمياء جمالاً وتهذيباً لقد أحبها قلبي منذ أمد بعيد وتدلهت بحبها . اما أن أتزوج من لمياء وإما أن لا أتزوج أبداً . « قـال مسعود : « أرجو أن يكون في جوابها ما يرضيك يا بني » .

وخرج سليمان الصقر من دار مسعود المير كما دخل . يحمـل قلبه بيده ويرى أمانيه العذاب وأحلامه الوارفة معلقة بخيط من العنكبوت واه نحيل ؟ ووثب مسعود إلى ابنته لميـاء يقول : « لمياء . يبدوا أن الله لم يتخلَّ عنا . فقد أرسل اليـك من يرد شبح الفضيحة عنك وعنا » . وانتفضت لمياء وهي تسمع والدها يتحدث عن الفضيحة . ومسحت دموعهـا التي كانت تنهمر بغزارة على وجنتيها وتمتمت : « أي فضيحة هي هذه التي تتكلم عنها يا والدي ؟ ما هي الفضيحة التي حملتها اليكم ؟ ماذا فعلت ؟ أيكون وقوفي في البستان قرب جارنا فؤاد العبلان فضيحة » ؟

فماد والدها إلى الغضب الشديد ليقول : « اصمتي يا فاجرة . أيكون ثمة أبعد من تلك الفضيحة الكبرى التي حملتها الينـا بتهورك وطيشك ؟ ألا يكفي ان الجميـع في هذه الربوع علموا أنك على علاقة أثيمة نكراء بفؤاد » ؟ قالت : « علاقتي بفؤاد بعيدة كل البعد عن الأثم يا والدي . انها عـلاقة شريفة » فهو يحبني وأنا أحبه وقد تعـاهدنا على الحب والوفاء والزواج » . فهدر مسعود المير مقاطعاً : « إصمتي ، اصمتي يا مجرمة . لو كان فؤاد العبلان يحبك كما تدعين لتقدم طالبـاً يدك كما فعل

سليمان الصقر » .

فوجمت لمياء وأطل الخوف الرهيب من عينيها وهي تسمع والدها معلنـا ان سليمان الصقر طلب يدها وأدركت أن ثمة كارثة أشد وأقوى من الكارثة الواقعة فيها ستطل عليها . ومضى والدها في كلامه ليقول : « لقد جاء سليمان الصقر الي الآن طالباً يدك . فماذا تقولين في طلبه » ؟ وانفجرت لمياء وهمست والدمع يقطع عليها الكلام : « رحماك . رحماك يا والدي رحمـاك دعني أعش هنا في دارك خادمة . انا لا اريد أن اتزوج . لا أريد أن أكون زوجة سليمان الصقر لا أريد لا أريد رحمـاك رحماك رحماك » !

وهدر الوالد الغاضب الثائر : « هذا كلام هراء . كل فتاة ساقطة تتذرع بما تتذرعين . أنت تريدين أن تتزوجي إلا أنك لا تريدين الزواج من سليمان الصقر . لو جـاء النذل فؤاد العبلان وطلب يدك الآن لما ترددت في القبول » .

قالت مدافعة عن فؤاد : « فؤاد شاب شريف يا والدي وهو مستعد ان يطلب يدي . مستعد ان يصلح الخطأ . أنا متأكدة من ذلك . فؤاد يحبني ويريدني زوجة له » فقاطعها متمتماً : « لو كان فعلا يحبك لـكان تزوج منك » .

قالت : « هو سيطلب يدي . عندمـا يخرج من المستشفى

سيأتي اليك طالباً منك الموافقة على زواجنا ». فهدر بغضب : « الآن . بعد ماذا ؟ بعد ان وضمنا بالعار والقى بأخيك في غياهب السجون ؟ والله ان هو وطأ عتبة هذه الدار لأطردنه والقي به من النافذه »، فأدركت لمياء ان والدها لن يلين . هو غاضب حانق على فؤاد . ما عليها إلا ان تتريث . لقد قيل ان الوقت يفض المشاكل وما هناك الا الوقت يفض مشكلتها ويحل المعضلة المعقدة التي اوقعها القدر بها . وعادت الى الاسترحام والاستعطاف فهمست : « رحماك رحماك يا والدي رحماك . لا تظلمني . لا تلق بي في النار ، لا تحرقني ، لا تقض علي . رحماك رحماك رحماك ».

ودمعت عينا مسعود المير وهو يشاهد ابنته في استجادها واسترحامها ودموعها . وخرج من الغرفة على عجل واسرع إلى زوجته ليقول : « أدخلي على ابنتك وخففي عنها ». وأسرعت الأم الى ابنتها تكفكف دموعها الغزيرة وتهمس في اذنها : « اطمئني يا ابنتي ، اطمئني يا حبيبتي ستجري الأمور كما تشتهين يا لمياء ». وأخفت لمياء رأسها في صدر أمها الحنون وتمتمت بحزن وألم وأسى : « أمي رحماك يا أمي لا تتركيني . لا تتخلي عني ، أنا احب فؤاداً . وفؤاد يحبني . لا استطيع أن أبتعد عنه ولا هو يستطيع ان يبتعد عني . أنا لا أريد غير فؤاد حبيباً وزوجاً .

ومسحت الأم دموع ابنتها وهمست : « اطمئني اطمئني يا روح أمك اطمئني ». قالت : « أريد ان أطمئن على حياة فؤاد . هل هو بخير ؟ أتكون حياته مهددة بالخطر » ؟ فابتسمت الأم وهمست : « كان الأحرى بك أن تسألي عن أخيك الملقى في السجن قبل ان تسألي عن فؤاد » قالت : « أخي بألف خير ان لم يخرج اليوم من السجن فهو سيخرج غداً . أما فؤاد فإن حياته مهددة بالخطر أرجوك يا أمي ، أرجوك ساعديني » قالت الأم وقد لمست في ابنتها اللوعة والألم والأسى : « يا ابنتي لمياء كوني عاقلة . كوني عاقلة يا ابنتي . بيننا وبين آل المبلان تنشأت عداوة شديدة الأثر وثيقة العرى . لن يعود الصفاء بيننا وقد وقع ما وقع . يجب ان تنسي فؤاداً يا ابنتي يجب ان تنسيه . لا تفكري به بعد اليوم . مالك وله يا لمياء ».

وتمتمت لمياء وهي تمسح دموعها : « علينا أن نعلم حقيقة حال فؤاد يا أمي ، ان لم يكن من اجل قلبي فمن أجل اخي . اذا مات فؤاد فان مصير اخي سيكون الاعـدام »، وصمتت الام وهي تسمع ما تقول ابنتها . لمياء على حق . اذا مات فؤاد المبلان فسيكون مصير ابنها الإعدام . وإن لم يكن المصير الإعدام فهو سيكون السجن المؤبد . عليها اذن ان تعلم الحقيقة . ان تطمئن الى سلامة رأس ابنها لا إلى سلامة حياة فؤاد . وصمتت الام وعادت لمياء الى الكلام لتقول : « أرجوك يا أمي ان تتصلي بفؤاد . ان تزوريه في المستشفى ان تقفي على حقيقة

ما حل به، وازدادت الام وجوماً وابنتها تطلب اليها ان تشخص الى المستشفى لتطمئن الى سلامة فؤاد العبلان . وهمست : « مستحيل ، مستحيل » . وتمتمت لمياء : « اذا كنت لا تريدين الذهاب إلى المستشفى فساعديني على الخروج من هذه الدار . أنا سأشخص إلى المستشفى بنفسي وأطمأن إلى سلامته » .

فعادت الأم الى الهمس : « مستحيل ، مستحيل » ، وتمتمت لمياء : « أرجوك يا أمي » ، وتمتمت الأم بحنق : « ألا يكفينا ما نالنا من فضيحة يا ابنتي ؟ أتريدين ان تحملي الينا فضيحة جديدة؟ ماذا سيقول الناس فيك وهم يشاهدونك تزورين فؤاداً في المستشفى» وهمست لمياء . صحيح ماذا سيقول الناس بهـا وهم يشاهدونها تزور حبيبها في المستشفى ؟ وعادت الأم إلى الكلام لتقول باسترحام : « رفقاً بنا وبسمعتنا يا ابنتي . لا تمعني في تمريغ سمعتنا بالوحول » .

وتمتمت لمياء : « لقد اهتديت الى حل . أنا لن ازور فؤاداً في المستشفى . سأطمئن على صحته بدون أن أعرض سمعتنا للهوان » . قالت الأم باستفهام : « كيف ؟ كيف ؟ » قالت : سأتصل هاتفياً بإدارة المستشفى أسألها عنه » ، وابتسمت الأم وهمست : « من اين ستتصلين بإدارة المستشفى ؟ » ، قالت من دار جيراننا . هنا على مقربة من دارنا تقع دار ابراهيم بك في تلك الدار ولديهم جهاز هاتف . أنا أستطيع ان أتصل من دار ابراهيم بك

بإدارة المستشفى » قالت الأم : « تعالي . أنا سأمهد لك سبيل الخروج من الدار . سأرافقك إلى دار ابراهيم بك تعالي تعالي » ونهضت لمياء ترتدي ثيابها وتخرج برفقة أمها من الدار إلى دار ابراهيم بك القريبة من دارها. وراحت الأم تطلب الى ابنتها ان تسرع في المسير ، فهي تريد أن تعلم هل مات فؤاد العبلان ؟ تريد أن تطمئن إلى سلامة رأس ابنها . ولمياء لم تكن بحاجة إلى من يدعوها للاسراع . فهي تريد أن تطمئن الى صحة فؤاد .

وأسرعت الأم والابنة . الأم يدفعها حنان الأمومة العظيم الى الاسراع والابنة يدفعها حنين الحب العميق الى العدو والاندفاع . ووصلتا الى دار ابراهيم بك فاستقبلتهما عقيلة البك بالترحيب الشديد وهي لا تجهلهما فهما جارتاها . وطلبت لمياء الى صاحبة الدار أن تسمح لها بالتحدث عبر اسلاك الهاتف من دارها . وتمتمت صاحبة الدار : « تفضلي يا ابنتي تفضلي . جهاز الهاتف في مكتب ابراهيم . أدخلي وخاطبي من تشائين» ودخلت لمياء وامها الى المكتب وأمسكت لمياء بسماعة الهاتف تتصل بإدارة مستشفى الدكتور بيسار واجاب الموظف المسؤول يقول : « ماذا تريدين ؟ » قالت : « أريد ان اعرف كيف حال المريض فؤاد العبلان ؟ كيف صحته ؟ هل هو بخير ؟ » وأجاب الموظف : « هو بخير يا سيدتي لقد استطاع شبابه الريان أن يساعد الطب على درء الخطر عنه » ، وابتسمت لمياء وهمست : « الحمد لله » .

وسمعتها أمها تحمد الله مبتسمة فتقدمت منها تقول «وماذا ؟ هل هو بخير ؟ » فأومأت لميا برأسها مشيرة بالإيجاب دون ان ترفع السماعة عن اذنيها . وتمتمت امها : « تعالي » . إلا ان لمياء لم تنزل عند طلب الام بل هي مضت في مخاطبة الموظف قائلة : « هل استطيع أن اتحدث الى السيد فؤاد» وأخذت الأم ترتجف وابنتها تطلب التحدث الى فؤاد وتمتمت : « ما لك وله . تعالي تعالي » لا يجوز أن تتنازلي الى مخاطبته . يجب ان نعود إلى البيت فوراً » وتجاهلت لمياء ما تقول امها. وسمعتها الأم تخاطب فؤاداً عبر الاسلاك فتقول : « من ؟ فؤاد ؟ يا حبيبي يا فؤاد « كيف انت الآن ؟ بخير ؟ الحمد لله يا حبيبي . آه يا فؤاد كم أنا في اشتياق اليك . ليت هذه الطعنات التي نزلت في صدرك نزلت في صدري أنا » .

واشتد الذعر بالام وهي تسمع ابنتها تخاطب فؤاد العبلان بمثل هذا الكلام وراحت تتمشى في الغرفة ذهاباً وإياباً وهي تضرب كفاً بكف وتهدر : « يا ويلي . يا ويلي . يا لها من مجنونة شقية ستقودنا الى فضيحة جديدة تهون عندها جميع الفضائح » ومضت لمياء في التحدث الى حبيبها فؤاد . وتمتمت: « فؤاد ! قل لي . متى ستخرج من المستشفى ؟ متى ؟ متى » وهمس فؤاد عبر الاسلاك : « يا حياتي يا لمياء . كم أنا في اشتياق اليك يا حبيبتي . ليتك تستطيعين ان تحضري إلي الآن » ليتني أستطيع أن أمتع نظري بمرأى وجهك الباش الوسيم الجميل .

ان مرآك يخفف الالم عني . مشاهدتك أفضل لدي من الف علاج ودواء » وهمست : « ما تتمناه أنت أتوق أنا اليه يا حبيبي . أنا في اشتياق الى وجهك الحبيب يا فؤاد . ولكنني لا استطيع الخروج من الدار . والدي سجنني في غرفتي لقد احتلت على امي واستطعت ان أخرج وإياها من الدار كي أتكلم اليك واطمئن عليك . وأنا سأعود معها الآن الى الدار ولن أخرج منها أبداً . لن أستطيع أن أهرب من الدار لاطير اليك » .

قال : « ما العمل ؟ ما العمل يا لمياء » ؟ قالت : « لا بد لنا من الانتصار في النهاية . أنا لن أكون لغير فؤاد . انني أقسم لك يا حبيبي . وانت ؟

فقاطعها قائلاً : « وأنا اقسم لك يا لمياء ، انني اقسم بعينيك، بحياتك ، بحبنا . وحياتك يا لمياء ، وحيات عينيك الحلوتين أنا لن أبتعد عنك الى الابد ، إلى الابد يا لمياء » قالت : « قل لي الحقيقة يا فؤاد . قل لي . ألست حاقداً علي » قال : « أنا أحقد عليك ؟ انا » ؟ قالت « اجل . أنت . بسبب ما نزل بك . أنا السبب يا فؤاد انا . لولاي لما حصل لك ما حصل ولما نزل بك ما نزل » قال : « لا تفكري بمثل هذا يا حبيبتي يا لمياء. انت لي » لي . وانا لك . وليس ثمة قوة تستطيع ان تفرق بيننا على هذه الارض الفانية » قالت : ولكن اهلي واهلك . انت في المستشفى بسبب اخي ، واخي في السجن بسببك وهم لن يرضوا

بأن يعود الصفاء الى الاسرتين . لا يا فؤاد ، لن يرضى اهلي بك عريساً لابنتهم ولن يرضي اهلك بي عروساً لابنهم » . فهمس : لا يا لمياء . الامور ستتحسن غداً . اقول غداً لان والدي سيشخص الى والدك غداً ويطلب لي يدك منه » .

فهدرت : « مستحيل . مستحيـــل . ان اخي لا يزال في السجن ووالدي ثائر عليكم » . فتمتم : « اخوك سيخرج اليوم من السجن وقد اسقطنا دعوانا . انا ادليت بإفادة تنقذ اخاك . قلت انني اهنته وانني كنت البادئ في انتضاء الخنجر وان اخاك انتزع الخنجر من يدي وطعنني به » . فاكبرت فيه هذه الروح الطيبة وهذه الاخلاق الكريمة وهمست : « انا لا استطيع ان اشكرك يا حبيبي . لا استطيع ان ارد جميلك ، لا اعلم ماذا علي ان افعل كي اكافئك ، كي ارد لك الجميل يا فؤاد » فهمس : « لا تنطقي بمثل هذا الكلام يا حبيبتي . انا لن ارضى بأن يدخل حبيب السجن بسببي . اخوك هو اخي يا لميـــاء » . فتمتمت ودموع الفرح تغمر مقلتيها : « يا حياة لمياء يا فؤاد » .

قال : « سأخرج من المستشفى بعد اسبوع لا لأذهب إلى دارنا بل لأطير اليك فأمسك بيدك واطير بك إلى فضاء السعادة والحب والسلام » قالت : « متى سيبزغ ذلك اليوم يا فؤاد ؟ يخيل الي انه بعيد بعيد بعيد حتى انه يكاد ان لا يطل علينا » . قال : « ثقي يا لمياء ان الله يرعانا . ثقي يا حبيبتي ان امانينا كلها

سائرة الى التحقيق . احلامنا كلها ستتحقق يا لمياء يا حيـــاة فؤاد » .

وكان صبر امها قد عيل . وبدأ الغضب الشديد يطـــل من عينيها فتقدمت منها تقول بغضب : « تعالي » . وأمسكت بيدها تشدها . وهمست لمياء قبل ان تلقي بسماعة الهاتف من يدهـــا : « إلى اللقاء يا حبيبي إلى اللقاء » وتمتم فؤاد : « مهلاً ، مهلاً يا لمياء ، أريد ان اتحدث اليك في بعض الامور الهامة مهلاً » إلا ان لمياء كانت قد ارغمت على القاء السماعة وسارت مع امها والفرح يغمر حنايا روحها بنوره الزاهي الجميل .

***

ناصر العبلان والد فؤاد يقف أمام دار جاره مسعود المير والد لمياء يطرق الباب والأفكار تدور في رأسه على سرعة واندفاع ماذا سيقول لجاره بعد ان جرى ما جرى ؟ كيف سيقابله ؟ بماذا سيتحدث اليه ؟ ان مسعود المير صديقه الحميم ، كان قبل وقوع الكارثة يزوره كل يوم ، وكان مسعود يزوره أيضاً كل يوم . كانت الاسرتان ، أسرة ناصر وأسرة مسعود تعيشان وكأنهما أسرة واحدة . إلا ان فؤاداً ولمياء عكرا صفو السلام السائد بـــين الأسرتين الصديقتين . لعن الله الاولاد كم يحملون إلى أهلهم من المصائب والكوارث والويلات .

وفتح الباب وأطل مسعود المير . وارتسمت الدهشة على وجه مسعود وهو يشاهد ناصر العبلان واقفاً بالباب والخجل السحيق يطل من عينيه . وأخذ مسعود المير يرتجف . واحتار في أمره ماذا عليه ان يفعل . هـــل يبتسم له ؟ هل يدعوه للدخول ؟ هل يطرده ؟ .

وانفرجت شفتا ناصر عن ابتسامة صفراء . صفراء بـــلون وجهه الأصفر المرتجف النحيل . وهمس : « صبـــاح الخير يا مسعود » وتمتم مسعود برصانة ووقار : « صباح الخير » وتقدم ناصر منه فاتحاً له ذراعيه وهمس : « ناصر أنا جئت لأعتذر منك عما بدر من ابني فؤاد . نحن عشنا العمر أخوين ولا أريد أن يعكر صفو الأخوة بيننا أحد . تعال ، تعـال اعانقك يا أخي مسعود ، تعال اقبلك وأطلب منك الصفح والغفران » .

واغرورقت عينا مسعود المير بالدموع وكلمات جاره ناصر العبلان تقع منه في الأذنين ، وفتح ذراعية يضم ناصر إلى صدره . وبكى الأثنان . ناصر ومسعود . وأمسك مسعود بيـــد ناصر وهمس : « تعال يا أخي ناصر . تعال . ادخل » ودخل ناصر إلى دار صديقه مسعود . وقاده مسعود إلى غرفة الاستقبال وجلسا يتحدثان حديث المودة والاخوة والصداقة . وتمتم ناصر : « والله يا مسعود أنا خجول منك . ما بدر من فؤاد أذلني حيالك . لمياء ابنتك في مقام ابنتي نهاد . كل ما يسيء إليها يسيء إلي . ثق يا

مسعود انني شديد الالم لما جرى » قال مسعود : « انه طيش الشباب يا ناصر . ابنتي وابنك ارتكبا هفوة كبيرة كادت ان تقضي على أسرتينا وتهدم كيان صداقتنا المتينة الاركان » وقال ناصر : هما ارتكبا هفوة وعلينا نحن أن نسعى إلى إصلاح هذه الهفوة » .

فأدرك مسعود المير ما يرمي اليه جاره إلا أنه لم ينبس بحرف فعاد ناصر إلى الكلام ليقول : « أنا جئت الآن أطلب يد ابنتنا لمياء لابننا فؤاد يا أخي مسعود » . وتمتم مسعود : « ليس لي أي اعتراض على ما تبدي من رأي يا اخي ناصر . كل ما تعرضه يكون عين الصواب ، ولكن . . » . وقاطعه ناصر العبلان بقوله . « ولكن ماذا » ؟

قال : « ولكن ألا ترى ان اعـــلان زفافهما الآن يساعد الفضيحة على الانتشار ؟ الكل سيدرك ونحن نصرح في اعلان موعد العرس ، ان هناك فضيحة أبعد أثراً من فضيحة مداهمة فؤاد ولمياء في بستان الليمون وأننا ما عمدنا إلى اعلان العرس إلا لنقضي على تلك الفضيحة » قال ناصر : « ماذا علينا أن نفعل إذن » ؟ قال : « أرى ان نؤجل اعلان الموعد إلى فرصة اخرى . أرى ان يكون موعد الزفاف بعد ثلاثة أشهر » قـــال ناصر : « ليكن ما تريد . يبـدو ان الاثنين يهيمان من بعض على هوى وحنين . لو انهما باحا لنا بسرهما لاتقينا الفضيحة ولما وصلنا إلى

ما وصلنا اليه » قال مسعود يبدو ان الله اراد لنا هذه الصدمة أراد ان يلقي بابنك في المستشفى ويلقي بابني في السجن وينشر حول سمعتنا العطرة ضباب الفضيحة النكراء » وابتسم ناصر العبلان ليقول : « الهفوة التي يمكن اصلاحهـــا ليست بالهفوة . ابنكم سيخرج من السجن اليوم بعد ان اسقطنا دعوانا . وابننـــا سيخرج من المستشفى بعد اسبوع . واعلان موعد الزواج كفيل بتبديد ضبابِ الفضيحة . صداقتنا على متانة يا اخي مسعود ، لن تؤثر فيها العواصف ولن تنال منها الرياح مأرباً » قال مسعود المير « سنظل كما كنا أخوين داري هي دارك وأسرتي هي اسرتك واولادي أولادك ما يؤذيك يؤذيني وما يفرحك يفرحني » .

وانصرف ناصر العبلان من دار جاره مسعود المير وقد عاد إلى قلبه الصفاء وغمر روحه الاطمئنان والابتهـــاج . واسرع مسعود المير إلى ابنته لمياء يكفكف دمعها ويقول : « لمياء ، كفكفي دمعك يا ابنتي ليس ثمة شيء في الحياة يستحق أن تذرف من أجله الدمع الغزير » .

ودهشت لمياء وهي تلمس في كلام والدهـا الرقة والعطف والحنان . وادركت ان هناك بشرى سارة وراء حديث الوالد الحنون، ومسحت دموعها وارهفت اذنيها فتابع الوالد حديثه ليقول : «لقد جاء ناصر العبلان إلي الآن طالباً يدك لأبنه فؤاد. ماذا تقولين في الطلب يا لمياء » ؟

وعرفت شفتا لمياء الابتسام. وهمست : « ليس لي أن ابدي رأياً في حضرتـــك يا والدي الحبيب . لك ان تأمر وعلي ان أطيـــع » وابتسم مسعود المير على خبث وتمتم : « يا لعينة لماذا لم تنطقي بمثل هذا الكلام عندما جاء سليمان الصقر طالباً يدك » فهمست بخجل : « ذاك سليمان الصقر لا اريده يا والدي ، ولا أستطيـــع ان اوافق على طلبه » قال : هذا يعني انك توافقين على الزواج من فؤاد » ؟ .

فصمتت وخفضت نظرها الى الارض على خجل وحيـــاء . وأمسك والدها بيدها يقول : « كدت تهدمين صداقتي لجاري ناصر العبلان يا لمياء بطيشك وتسرعك. إلا أن ناصر أبى ان تنهار صداقتنا فجاءني طالبـــاً الصفح والغفران. وصفحت وغفرت وتناسيت ما جرى ووافقت على ان تزفي لأبنه فؤاد وينتهي كل شيء » . ولم تستطع لميـــاء ان تحبس دموع الفرح « فانهمرت الدموع على وجنتيها في حين لمعت البسمة على شفتيها وانكبت على يد والدها تقبلها وتتمتم : « شكراً لك يا والدي شكراً شكراً » .

وضمها الوالد الحنون الى صدره برفق وحنان وهمس : « كل ما يهمني من الحياة هو ان اراك سعيدة يا ابنتي يا لمياء » وتمتمت لمياء : « سامحني يا والدي ، سامحني على مـــا بدر مني . أنا لم أكن اريد الاساءة اليك ، لم أكن أرمي إلى النيل من شرفـــك

وسمعتك واسمك ، ثق يا والدي الحبيب ان اسمك ما زال ناصعاً كالثلج لم تلطخه الوحول ولم تعبث به يد الاقدار الغاشمة النكراء » . قال : « أنا ما كنت يوماً لاشك بنصاعة جبينك يا ابنتي الا ان الناس لا يرحمون ، فهم يفتشون دائماً عن الفضائح لينشروها الى الملأ ، وسمعة الفتاة كالوردة الناصعة البياض ، لطخة وحل واحدة تظهر فيها تشوه منظرها الرائع الجميل . كل ما يطلب الوالد من ابنته هو ان تحافظ على سمعتها التي هي سمعته وعلى اسمها الذي هو اسمه وعلى كرامتها التي هي كرامته » . قالت : « ثق يا والدي انني كنت وسأظل تلك الفتاة التي يفخر والدها بها والتي تحافظ على كرامتها وسمعتها واسمها » . قال : « لقد وعدت ناصراً باجابة طلبه . أنت ستزفين الى حبيبك فؤاد العبلان ولكن » . .

قاطعته بخوف : « ولكن ماذا ؟ » قال : « ولكن لن تزفي اليه اليوم ولا غداً ولا بعد غد . لن يعلن موعد العرس إلا بعد أشهر قليلة . لقد اردت ان أبتعد بالموعد ريثما تهدأ العاصفة وتخمد النار ويتوارى الضباب» . قالت وقد عاودها الاطمئنان: « ليكن ما تريد يا والدي الحبيب ليكن ما تريد . » قال : ولكن هذا لن يمنع فؤاداً من زيارتنا ولن يمنعك انت من زيارته ستعود الحال بين الاسرتين الى ما كانت عليه . تزورهم ويزوروننا فكأن اخاك لم يطعن ابنهم وكأن ابنهم لم يلق بأخيك في

غياهب السجون » . فعادت إلى التمتمة : « شكراً يا والدي ، شكراً ، ليحرسك لي الله وليبقك حارساً وفياً اميناً لابنتك لمياء » .

فعاد إلى ضمها ، وطبع على جبينها قبلة الوالد الحنون وخرج من الغرفة وهو يحاول أن يحجب دمعة بدأت تتأهب للانحدار على خديه المجعدين .

وأسرعت لمياء إلى ارتداء ثيابها وقد أطلق والدها جناحيها وفتح امامها أبواب « السجن » وخرجت من الدار ووثبت إلى دار جارهم ابراهيم بسك لتمسك بسماعة الهاتف وتتحدث إلى حبيبها فؤاد تزف اليه البشرى السارة مرسلة له عبر الأسلاك ، أسلاك الهاتف القبلات الحارة الملتهبة الحمراء ، قبلات الحب قبلات الاخلاص والود والحنين .

الفصل الخامس

شفاء فؤاد

سليمان الصقر يقيم على قلق ووجوم . كل ماهنالك يشير الى ان ثمــة عاصفة هوجاء بدأت تتأهب للجموح .

فقد خرج فؤاد العيلان من المستشفى وعاد إلى داره بألف خير من الله . وخرج حسيب المير من السجن ومنعت عنه المحاكمة بعد أن أسقط فؤاد دعواه عنه

وأيقن سليمان الصقر أن الرياح تهب في غير مصلحته . فؤاد لم يمت وحسيب لم يسجن . وخشي سليمان أن يعود الصفاء بين الأسرتين : أسرة العيلان واسرة المير وتعود بالتالي العلاقات إلى سابق عهدها ما بين فؤاد ولمياء . ورأى ان يستعجل الزمن في

الاستيلاء على قلب لمياء . أو بالاحرى هو رأى ان يستعجل الزمن في الاستيلاء على لمياء نفسها . عليه ان يعقد زفافه عليها ويبتعد بها عن فؤاد . وعندما تصبح زوجته سيتدبر هو أمرها ويمنعها من مغادرة الدار . واطمأن قليلا وهو يصل بتفكيره إلى هذا الحد . واسرع الى دار حسيب المير طالبـاً إلى رب الدار الجواب . مسعود المير وعد برد الجواب بعد أيام عندمـا طلب يد كريمته لمياء . الايام القليلة مضت وعلى مسعود المير أن ينفذ ما وعد به ، ووعد الحر دين .

وأقبل سليمان إلى مسعود المير يسأله : « ماذا أيهــا السيد مسعود ما هو جواب الآنسة لمياء » ؟ وأجاب مسعود بكــل وقار : « آسف أيها السيد سليمان أن أبلغك أن نصيبك ليس في هذه الدار » .

ووجم سليمان الصقر وجواب مسعود المير يقع منه في الأذنين وهمس : « يبدو أن حظي من الحياة على تعاسة وشقاء » . ونهض وخرج من الدار متمتماً في سره : « سليمان الصقر لن يكون نصيبه الفشل . لن يتراجع ، لن يرمي الســلاح . سيمضي في الجهاد من أجل الحصول على لمياء . لمياء كل ما يصبو ويريد سليمان من دنياه .

وانصرف سليمان الصقر إلى البحث والتحري . فهو يريد ان

يعلم لماذا رده مسعود المير على خيبة أمل . وسليمان كان يعلم ان جواب لمياء سيكون الرفض لا سيما وقلبها عند فؤاد العبلان ، إلا أنه كان يأمل ان يتمكن والدها من إرغامها على القبول ... لكن آماله ذهبت أدراج الرياح ومسعود المير لم يستطع أن يرغم ابنته على النزول عند ارادته ...

وعاد سليمان إلى التفكير مجدداً . فهو يريد أن يهتدي إلى وسيلة جديدة تؤمن له الوصول إلى ابنة مسعود المير . هذه الفتاة ملكت عليه كل عواطفه واستطاعت أن تتربع على عرش قلبه وأن تستبد في حكمها وتجور عليه .

وشعر سليمان الصقر بالألم وبالنار تكوي قلبه فازداد رغبة في الحصول على قلب هذه الفتاة المتمردة ، الحاكمة بأمرها التي حرمته لذة الحياة وهناءها وصفاءها . وجرّ رجليه جرّاً إلى داره . ودخل إلى الدار يتمشى لفافة ويستلقي على سريره الحديدي الخلع ويستسلم للتفكير . وعزم على ان يظفر بلمياء . إن لم يكن برضاها فسيكون ذلك بغير رضاها . أجل ، بغير رضاها ! سيختطفها ويطير بها إلى مكان قصي بعيد لا يمكن لأحد أن يهتدي اليه ... واطمأن للفكرة الموفقة ، فكرة الاختطاف . الاختطاف وحده يرغم لمياء المتمردة على النزول عند ارادته ويحطم كبرياءها ويروضها . ماذا ستفعل لمياء وقد اختطفها سليمان الصقر وطار بها ؟ أو بالاحرى ماذا سيفعل أبوها

وقد خرجت من داره عذراء كالزنبقة العطرة ، كالوردة الفواحة العبير وأصبحت بعد خروجها من الدار ذابلة ذاوية لا عبير فيها ولا عطر ولا شذا ؟ من المؤكد أن مسعود المير سيهرع اليه مسترحماً مستعطفاً ويرجو أن « يستر » ابنته لمياء ويتزوج منها . وارتاح كل الارتياح وهذه الأفكار تغمر خياله . وأسرع إلى الحانة الليلية التي اعتاد اللجوء اليها يسهر فيها حتى مطلع الفجر البعيد ويحسو مع عشيقته الغانية الخمر بإسراف وتبذير وجنون ولم يعد إلى الدار إلا ويد الفجر تكحل مقلة الليل بنور الصباح.

ورسم سليمان الصقر الخطة الموفقة المضمونة النجاح . سيرابط أمام دار مسعود المير يرقب خروج لمياء من الدار حتى اذا خرجت وثب اليها يكم فمها ويقيد يديها ويلقيها في سيارة يستأجرها من أحد الاصدقاء المهربين ويطير بها إلى اعالي جبال الشمال وهناك يسجنها في كوخ ناء بعيد فلا يصل اليها أحد ولا يعلم بمقرها أحد ولو الدها المتمرد أن يفعل ما يطيب له .

ورأى سليمان الصقر أن يضمن الفوز ، رأى أن يكفل نجاح خطته ، رأى أن يهيء الوسائل والسبل والتدابير اللازمة التي تضمن له النجاح . وأيقن أنه بحاجة الى مساعد ، الى صديق وفيّ أمين يمد له يد المساعدة والعون . لن يستطيع وحده أن يقوم بالمهة الشاقة الخطرة . وبدأ أولاً البحث عن الصديق الوفيّ الصدوق . واهتدى اليه بعد تفكير طويل . انه جميل المندور

وجميل صديق قديم ، وهو من طينة سليمان سبق أن اشترك معه في بعض عمليات التهريب وفي الكثير من حوادث الاحتيـــال والاختلاس والنصب . إلا ان جميلاً لا يقوم بأي عمـل اكراماً لسواد العينين.فهو أمين ووفيّ وجريء الا ان لإمانتـه ولوفائه ولجرأته ثمناً . ومن اراد ان يستعين بمواهبه عليه أن يدفع الثمن.

وأسرع سليمان الصقر الى صديقه الحميم جميل المندور .ودعاه الى احتساء كأس عرق في الحانة الليلية المتواضعة الرابضة على شاطيء البحر في مدينة طرابلس الشام ، ولبى جميـل الدعوة وشخص مع صديقه سليمان الى الحانة يجلسان في زاوية من زواياها حول طاولة صغيرة مدت فوقها أطباق الطعـــام و"كأس" عرق وبعض الأثمار . وجلست بعيداً عنها الغـادة الحسناء وهيبة رشدان عشيقة سليمان ترشف كأس خمر وتنتظر أن يدعوهـا عشيقها الى الجلوس قربه ومشاركته الطعام والشراب كعادته . الا ان سليمان لم يلتفت اليها ، بل هو مضى في التحدث الى صديقه جميل باهتمام شديد بعيد.

ولاح للغانية الحسناء من حديث عشيقهـا وصديقه الاهتمام البعيد . كانا يتهامسان وهمـا يرشفان الخمر ويتناولان الطعام . وشاءت ان تعلم بماذا يتحدثان وقد طال حديثهما فاقتربت منهما بخفة وحذر . ووقفت وراء سليمان تسترق الحديث . وسمعت

سليمان يقول : « علينا ان نكون على حذر ياجميل . أخشى ان نصل الى السجن اذا افتضح أمرنا » . وأجاب جميل : « لا تخف اللواتي اشتركت في اختطافهن كثيرات . ليست المرة الاولى التي أشترك فيها باختطاف فتاة » . قال سليمان: « ولكن هذه تختلف عن جميـع الفتيات ، هناك والدها وأخوها وجيرانها وكلهم على قوة وشجاعة وبأس . اذا اكتشفوا أمرنا .. اذا دهمونا واعتقلونا فلن تنجوا من بين أيديهم » . فابتسم جميل وهمس : « لا تخف يا سليمان . اتكل على صديقك جميل » .

وأرهفت الغادة الحسناء اذنيهـا وهي تسمع عشيقها سليمان يتكلم عن اختطاف فتاة . وثارت واندلعت نار الغيرة العمياء في قلبها الولوع . ايكون سليمان عازماً على الزواج من تلك الفتاة ؟ يا له من خائن مجرم شرير . وعادت الى الاقتراب منهما بحـذر كلي . وسمعت عشيقها يقول : « كيف سنختطفها ؟ تعال نرسم الخطة منذ الآن كي نضمن لها النجاح التـام » قال : « الخطة مضمونة النجاح . لم يسبق لي ان اخفقت مرة في مثـل هذه المهمة يا اخي سليمان . انت تعرف أخاك جميـلا حق المعرفة . ولكن » ..

قال سليمان : « ولكن ماذا » ؟ قال : « ولكن أنت تعرف ان جميلاً بحاجة الى المال » . قال سليمان : « لا تخف سيكون لك ما تريد » قال : « أريد منك الآن مبلغ مئة ليرة » قال :

« مئة ليرة فقط ؟ سأعطيك أكثر من المئة » قال : « أنت تعلم أنني لا أقوم بمثل هذه المهمة لقاء مثل هذا المبلغ الضئيل . ولكن أنت أخي ورفيقي وصديقي وزميلي ولــك علي حق الزمالة والاخوة والصداقة فلن اعاملك معاملة الآخرين » قال سليمان : « اطمئن سيكون لك ما تريد . ولكن قــل لي متى ستنفذ الخطة المرسومة ؟ وأين ؟ وكيف ؟ » قال : « علينـــا اولا ان نراقب الدار . علينا ان نعلم متى تخرج الفتاة من دار والديها والى اين تذهب كي نستطيــع ان نحدد موقفنا وان نضمن للخطة الفوز السريع . عليك ان تراقب الدار وحدك . ثم تحمل الي غداً نتيجة المراقبة واترك الباقي علي » .

واندلعت نار الغيرة على اتقاد شديد في قلب وهيبة رشدان وهي تسمع الحديث السري الخطير بين عشيقها وصديقه . وأخذت ترتجف من الغضب . وشعرت بأنها تقف على جمر ونار وحمم . وكانت الساعة قد بدأت تشير الى الثانية بعد منتصف الليــل عندما نهض الإثنان ، سليمان وجميل وهما بالخروج من الحانة المتواضعة المغمورة بالأنوار المتعددة الالوان . ووثبت وهيبة الى عشيقها تعترض سبيله وتقول : « الى اين » ؟ ... قال : « أريد أن اعود الى الدار يا وهيبة . النعاس يكاد أن يطبق عيني » وأمسكت بيده تشدها وتقول بلهجة آمرة تتقنها بنات الليل : « تعال » ، وارغمته على الجلوس ، فجلس في حين خرج جميل من

الحانة متمتماً : « إلى الغد ايها الأخ العزيز سنجتمع غداً في مثل هذه الساعة هنا » ، وتمتم سليمان : « إلى الغد » .

وجلست وهيبة قرب سليمان وأشعلت لفافة نفثت دخانها في الفضاء وتمتمت : « ماذا أيها السيد سليمان ، ألم نعد نروق في عينك » ؟ فأمسك سليمان بيدها يشدها ويتمتم : « وهيبة كانت وستظل الحبيبة المفضلة عند سليمان . أنت حياتي وروحي وقلبي يا وهيبة » .

وابتسمت وهيبة وهمست : « يلوح لي ان هنــاك امرأة تتأهب لاحتلال مقامي في قلبك . لم تعد وهيبة لديــك تلك الحبيبة التي تشتاقها وتريدها وتحن اليها » قــال وهو يبتسم : « يا مجنونة . أيخيل اليك أن هناك امرأة في العالم تستطيع أن تنسيني حبك يا وهيبة ؟ أيلوح لك أن سليمان يستطيع أن يبتعد عنك وان يفسح المجال لغيرك إلى قلبه العامر بالحب والهيام .

لا وحياتك يا وهيبة . وحياة عينيك يا حبيبتي أنا لن أبتعد عنك ولن أسلك معك طريق الخيانة » ونفثت وهيبة دخان لفافتها في وجه سليمان وتمتمت : « وتلك الفتــاة التي تريد اختطافها ... بمساعدة جميل المندور » ؟ فأدرك أنهـا استرقت حديثهما . لا بأس هو سيعمد إلى اصلاح ما أفسد . سيوهمها أن ليس في اختطاف الفتاة أي خيــانة . عليه أن يتدارك الأمر

ليـــأمن شر" هذه العاشقة الغيور. وابتسم متظاهراً باللامبالاة .
وهمس : « إطمئني . ليس ثمة أي خيانة . الفتـــاة التي نريد اختطافها هي حبيبة جميل. ليس لي فيها ناقة ولا جمل .جميل رشدان صديقي وهو قد طلب مساعدتي ولم يكن الصديق يوماً إلا لوقت الضيق » .

قالت : « ولكن لاح لي من حديثكما أنك انت الذي طلبت مساعدته » فتظاهر بالغضب الشديد .

ووقف يقول : «أأكون كاذباً ؟ ألا تؤمنين بما أقول ؟» وهم بالمسير على غضب شديد. فخشيت أن تخسره وتعلقت به تقول : « لا يا حبيبي إن لي بك كل الثقة لا تغضب يا سليمان . لاتثر يا حبيبي . تعال تعال » وأمسكت بيده وخرجت وإياه من الحانة إلى دارها حيث قضت واياه ما بقي من الليل .

وما أن بزغ صباح اليوم التالي حتى كان سليمان الصقر يخرج من دار عشيقته وهيبة رشدان ويشخص إلى ضواحي طرابلس ويتسلل إلى بستان الليمون الذي يحيط بدار مسعود المير يراقب باب الدار مراقبة شديدة . فهو يريد أن يعرف متى تخرج لمياء من الدار . وإلى اين تذهب ، ومن تزور. كي يستطيع أن يرسم خطة الاختطاف .

وجلس تحت شجرة ليمون وارفة الظلال يدخن ويرمق باب

الدار من حين إلى آخر بنظرات ملؤها اللهفة والشوق والحنين .
ولم يطل انتظاره . فقد شاهد لمياء بعد قليل تخرج من الدار . واضطرب ، وبدأت نبضات قلبه تتصاعد على سرعة واندفاع وأدرك وهو يشاهدها تسير بين أشجار الليمون على فتنة ودلال أنه متيم بهواها الى حد الجنون وأن الحرمان زاده شوقاً اليهـــا وتعلقاً بها . وراح يراقبهـــا ويرافقها بنظراته على اهتمام واضطراب : ترى إلى أين تسير لمياء ؟ إلى أين ؟ وشاهدها تدخل إلى دار ناصر العبلان الى دار ناصر؟والد فؤاد ؟ هل هذا ممكن؟ أتزور فؤاد في داره بعد أن جرى مـــا جرى بين فؤاد وبين أخيها ؟ يا لها من مجرمة شقية خبيثة .

وأدرك سليمان الصقر، وهو يشاهد لمياء تدخل الى دار آل العبلان ان خطته باءت بالفشل الذريع. وأنه لم يستطع أن يبعد فؤاداً عنها ولا ان يوقع بين الأسرتين ، بين أسرة العبلان وأسرة مسعود وأن لمياء عادت الى مجارحـــا بين والد فؤاد ووالد لمياء . وأدرك عندئذ السبب في رفض طلبه الزواج من لمياء . فعض شفته السفلى حتى كاد ان يدميها. وتمتم في سره : « الويل ثم الويل لك يا لمياء من سليمان الصقر » .

✶✶

سليمان الصقر وصديقه الحميم جميل المندور في الحانة الليلية

المتواضعة يتهامسان باهتمام وحذر . قال سليمان : « شاهدتها تدخل إلى دار ناصر العبلان ، إلى دار فؤاد . إلى دار حبيبها اللعين . كل محاولتي ذهبت أدراج الرياح . ماذا سنفعل يا جميل؟ كيف سنختطفها ؟ كيف سأظفر بها ؟ كيف » ؟

ونفث جميل المندور دخان لفافته في الفضاء.وجرع كأسه وهمس : « قلت لك راقبها .. نريد ان نعلم الى اين تذهب ؟ من تزور ؟ من هي صديقتها ؟ من هو صديقها ؟ راقبها يا أخي . راقبها واترك الباقي عليّ » . قال سليمان : « راقبتها فرأيتها تدخل الى منزل حبيبها فؤاد » قال : « هذا لا يكفي . نحن لن نستطيع أن نختطفها من دار حبيبها فؤاد . لن نستطيع ان نمسك بها إلا وقد ابتعدت عن دارها . عن بستان والدها وعن بستان فؤاد . هل تفهم ؟ .. » قال : « أفهم ولكن لا اخال لمياء تبتعد عن دارها » قال : « ونحن لا نستطيع ان ندخل الى دارها . لن نستطيع ان نختطفها من دارها يا سليمان . علينا أن نتريث ريثما تحين الفرصة السانحة . لمياء لن تظل العمر كله داخل جدران دارها الأربعة . لا بد لها من زيارة إحدى الصديقات ، لا بد لها من الحضور الى طرابلس لشراء بعض الأغراض . سننتظر . عليك ان تصبر والصبر مفتاح الفرج يا أخي سليمان » .

وتأفف سليمان وتذمر ، ونفث دخان لفافته بحنق وتمتم : « أنت لم تعشق في حياتك ؟ لم تحب ؟ المحبون لا يعرفون الصبر

يا أخي جميل . لا يستطيعون التريث . المحبون العاشقون يقيمون أبداً على لهب ونار . لو كنت تعلم ما في قلبي يا جميل لما دعوتني الى الصبر والتريث . هذه الفتاة المتمردة استطاعت ان تستولي على قلبي وان تحرمني لذة الحياة . استطاعت ان تسلب قلبي البهجة وعيني النوم . يجب ان أظفر بها . يجب أن أعيش قربها ، يجب ان انعم بحبها المظفر » فقهقه جميل المندور وهمس : « منذ متى كان قلبك معدناً للحب والعطف والحنان» ؟ قال : « منذ أن رأيت لمياء المير . منذ ذلك اليوم وانا اعيش في جحيم . منذ ذلك اليوم وأخوك سليمان لا يعرف طعم النوم ولا يذوق لذة الحياة » قال جميل : « اطمئن اطمئن ، لمياء المير ستكون لك ، لن تفلت من يدك . أنا سأضمن لك الفوز بها ، لا تخف يا سليمان ، لا تخش أمراً ما دام أخوك جميل قربك يمد لك يد المساعدة والعون » قال : « ماذا علينا ان نفعل الآن ؟» قال : « علينا ان نراقبها . قلت لك وأعيد ما قلت لك : راقبها حتى اذا رأيتها تبتعد عن دار والديها اسرع اليّ ، ودع الباقي عليّ » قال : « وماذا ستفعل عندئذ » ؟ قال : « سأسرع الى نجدتك ، احضر سيارة ونلحق بها فنثب اليها ونكم فمها ثم نلقيها في السيارة ونطير بها الى فوق ، الى اعالي الجبال ، ونلقيها في دار بعيدة وتتدبر أنت أمرها » .

وعرفت شفتا سليمان الصقر الابتسام وصديقه الحميم جميل المندور يرسم له الخطة الموفقة وامسك بيده يشدها ويتمتم :

« شكراً لك يا اخي جميل . شكراً شكراً » وكانت عشيقة سليمان وهيبة رشدان تراقبها من بعيد . وشاهدت حبيبها سليمان يبتسم لصديقه جميل... واقتربت منهما على غنج ودلال . وجلست قربهما تسايرهما وتلاطف سليمان وتتودد اليه . ونهض جميل مودعاً وانصرف. وحاول سليمان الانصراف الا ان وهيبة أرغمته على البقاء قربها وقد بدأت تخاف ان يفلت من يدها . وابت ان تتخلى عنه . وقضت سهرتها وإياه ثم انتقلت به الى دارها لتقضي ما بقي من الليل بين ذراعيه .

وما ان اطل صباح اليوم التالي حتى كان سليمان الصقر ينفذ تعليمات صديقه الصدوق جميل المندور . وانتقل الى ضواحي طرابلس يرابط في بستان الليمون ويراقب دار مسعود المير بانتظار خروج لمياء من الدار . وطال انتظاره دون جدوى ، فانصرف الى التدخين بتذمر وتأفف . الا انه أبى ان يغادر البستان. سليمان الصقر لن يغادر بستان الليمون إلا وقد خرجت لمياء من الدار . وماذا سيفعل عندما تخرج لمياء ؟ سيلحق بها . ويعلم إلى اين هي ذاهبة . ثم يطير الى صديقه الحميم جميل المندور ويطلعه على الأمر ويدبران معاً مؤامرة اختطاف لمياء .

واستغرق سليمان الصقر في احلامه الوارفة الخضراء . فشاهد بعين الخيال حبيبته الفاتنة لمياء بين ذراعيه ، يضمها الى قلبه بشوق وقوة وحنين . وشاهدها وقد أصبحت زوجته المصون

تغمره بالعطف والحنان . وشاهدهما تعيش واياه في دار واحدة. في دار واحدة ؟ لا ، بل في غرفة واحدة تحت سقف واحد يتنشق الهواء الذي تتنشقه ويشرب المياه التي تشربها ، ويأكل الطعام الشهي الذي تطهيه بيدها وتأكله . وتاه سليمان الصقر في عالم بعيد سحيق فسيح من الأماني والاحلام ، ونهض ، وراح يتمشى ذهاباً واياباً تحت ظلال اشجار الليمون وهو يدخن لفافته بارتياح .

وفجأة استفاق من احلامه الوارفة الخضراء استفاق ليجد نفسه امام فؤاد العبلان وجهاً لوجه .. ووجم ، وازداد وجوماً وهو يشاهد فؤاداً يقترب منه والابتسامة تغمر شفتيه . ترى هل تتحول الابتسامة على شفتي فؤاد الى عاصفة غضب . وكان عليه ان يسرع في اتخاذ الموقف المنقذ ، كان عليه ان يجد عذراً لوجوده في البستان . واحتار في امره ، ماذا عليه ان يفعل ؟ هل يهرب ؟ هل يعدو ويسرع بالفرار ؟ وفيما هو منصرف الى التفكير اقترب منه فؤاد العبلان ومد له اليد مصافحاً ومبتسماً . وتلعثم سليمان وهو يمد يده ليصافح فؤاداً . وحلت عقدة لسانه فهمس : « الحمد لله على السلامة ايها السيد فؤاد ، لقد آلمنا ما نزل بك » ، وتمتم فؤاد : « شكراً ايها السيد سليمان شكراً » .

وفجأة لمع خاطر في راس سليمان ، سيدعي بأنه جاء الى

بستان مسعود المير لشراء اثمار الليمون . ورأى ان يعلن الخبر لفؤاد قبـــل ان يسأله فؤاد شيئاً . وقال : « لقد عزمت على المتاجرة بالليمون . من اجل هذا جئت الى البستان » وابتسم فؤاد العيلان على خبث ودهاء .وهمس : « يبدو انك انصرفت عن المتاجرة بالمخدرات ؟ » . وابتسم بكل قحة وتمتم : « أنت تعلم يا اخي فؤاد ان المتاجرة بالمخدرات لا تطعم خــبزاً » ، لا



نكاد نربح مبلغاً حتى نخسر مبالغ . فالعيون ساهرة والمكافحة شديدة والسلطات تضيق الخناق علينا . من أجل هذا رأيت أن أتاجر بتجارة مشروعة وابتعد عن التجارة المحرمة » قال فؤاد : « وهل لديك المال الكافي لشراء الليمون » ؟ وتقدم سليمان من فؤاد هامساً : « أقول لك الحق . انني أنا شخصياً لا أملك المال الكافي . ولكن هناك شريكاً لي مستعد ان يقدم المال . شريكي يقدم المال وأنا أقدم أتعابي والربح مناصفة بيني وبينه » .

وخيل لفؤاد العيلان أن سليمان صادق في ما يقول فالتفت اليه يقول بإخلاص : « هذا البستان يخص جارنا مسعود المير . . وقد باع جميع ما في البستان من أثمــار الليمون أمس . سيأتي الشارون غداً ليجنوا الأثمار وينقلوهـــا إلى مستودعاتهم . لن تستطيــع أن تشتري إنتاج هذا البستان يا سليمان . لقد ضاعت عليك الفرصة السانحة » وابتسم سليمان الصقر ورأى الفرصة سانحة لإطالة الحديث مع فؤاد العيــلان . فهو يريد أن يعقد صداقة معه . يريد أن يعرف منه أخبار حبيبته لميساء . وتمتم سليمان : « وأنتم . هل بعتم أثمار بستانـكم ايها السيد فؤاد » ؟ وقال فؤاد: « بعنا قسماً منه والقسم الآخر ما زال مدار مساومة وجدل بيننا وبين بعض التجار » قال سليمان: « ولماذا لا تبيعونني قسماً من إنتاج البستان ؟ » قـــال : هذا الأمر يتعلق بوالدي . والدي داخل الدار الآن . تفضل بالدخول الى دارنا قد تصــل وإياه إلى اتفاق يضمن لك الربح الوفير » قال : « أريد منك أن

تكون واسطة خير بيني وبين والدك أيهـــا السيد فؤاد . نحن الشبان نستطيع أن نتفاهم في حين أن التفاهم بيننا وبين آبائنـــا صعب عسير » . قال فؤاد : « تعال معي . سأعمل جـاهداً على التوفيق بينك وبين والدي » .

وسار فؤاد بسليمان إلى دارهم . ودخل فؤاد ، ودخل وراءه سليمان . وقاد فؤاد العبلان سليمان إلى قاعة الاستقبال ، ودعاه للجلوس ثم انصرف ليدعو والده . وظل سليمان وحده في الغرفة المزدانة بالرياش والتحف والمقاعد والسجاد . وراح سليمان الصقر يستعرض الصور والرسوم والتحف المعلقة على جدران الغرفة ، وكان هناك عدة صور . صورة تمثل ناصر العبلان وزوجته . وصورة لابنه فؤاد وصورة لابنته نهاد مع عريسها وهما يرتديان ثياب العرس . وصورة قديمة العهد تمثل رجلاً كهلاً يرتدي الثياب القديمة . من المؤكد انها صورة والد ناصر جد فؤاد . وهنـــاك رسوم زيتية رائعة . وتحف مختلفة الأشكال . سيوف قديمة العهد وصحون من برونز ومن فضة ومن بورسلـــين نقشت عليها آيات وصور ومشاهد طبيعية رائعة . وتوقف نظر سليمان الصقر عند خنجر جميل مطعم بالعـــاج والياقوت ، من تلك الخناجر التي اشتهر بصنعها ابناء جزين . وكان ثمة على الخنجر حرفان حفرا باتقان بعيد المدى « ف . ع » ، وأعجب سليمان الصقر بالخنجر وبدقة صنعه وبجدة نصلته اللامعة ، ومد يده اليه ينتزعه من الحائط ويخفيه في جيبه وعاد الى الجلوس في مقعده الوثير وكأنه لم يفعل

شيئاً .. وأقبل بعد قليل فؤاد برفقة والده .

وبدأت المساومة بين سليمان الصقر وناصر العبلان على ثمن أثمار الليمون . وراح سليمان يساوم ناصر العبلان مساومة شديدة حتى خيّل لناصر ولابنه فؤاد ان سليمان يريد المتاجرة بالليمون وكان من الطبيعي ان تسفر المساومة عن عدم الاتفاق . ونهض سليمان الصقر مودعاً ومتمتماً بكل مكر وخبث ودهاء : « على كلٍّ قد أعود اليكم بعد أيام ربما كان ذلك في الاسبوع القادم » وتمتم ناصر العبلان وهو يودعه : هذه هي اسعارنا يا أبني . لقد حاولت تقديم المساعدة لك على قدر الإمكان فلم أوفق . إنني أتمنى لك النجاح والتوفيق » وخرج سليمان الصقر من دار ناصر العبلان وسار وهو يرمق دار مسعود المير القريبة من دار ناصر بنظرات تائهة ولهى حنونة . وأبى ان يعود الى مراقبة الدار ، دار ليلى وقد خشي ان يفضح فؤاد العبلان أمره . ماذا سيقول له اذا دهمه للمرة الثانية في بستان الليمون ؟ في المرة الأولى قال له انه يريد المتاجرة بالليمون وإنه ما جاء إلى البستان إلا ليشاهد الاثمار ويتأكد من جودتها . هذا ما قاله في المرة الأولى فماذا عساه يقول في المرة الثانية ؟ ورأى ان يعود أدراجه وقد وقد ايقن ان الاقدار تعانده وان الحظ لا يريد ان يخدمه ويُنيله ما يتمنى من احلام وارفة خضراء .

وسار يجر رجليه جراً وهو لا يعلم الى اين يسير . ومشى

دون قصد في الطريق الى دار عشيقته الحسناء وهيبة رشدان . ورأى نفسه يقف أمام الباب يطرقه دون ان يدري لماذا جاء ولماذا وقف امام الباب ولماذا يطرقه وقد كان طيلة الليل في هذه الدار ؟ وفتحت وهيبة البـــاب واطلت وهي لا تزال ترتدي ثياب النوم . وتمتمت وهي تشاهد الحبيب الوفي : « سليمان ؟ عدت ؟ ادخل يا حبيبي ادخل » ودخل وتمتم : « هل تناولت طعام الغداء ؟ » قالت : « لا . أنا لم استفق من النـوم إلا منذ دقائق قليلة » قال : « تعالي نتناول الطعـام يا حبيبتي تعالي » وسارت ، وسار الى غرفة الطعام . وجاءت بالطعام والشراب وجلسا يشربان ويأكلان ويتسايران . واسرف في الشراب . فهو يريد ان يسكر ، يريد ان يضيع ، ان يفقد رشده ، ان ينسى فشله في الخطوة الأولى التي سارها في الطريق ، طريق الخطة التي رسمها بمساعدة صديقه الوفي جميل المندور . وشرب حتى كاد يضيع . وقام وقد بدا السكر يعصف به الى غرفة النوم ينزع عنه ثيابه ويندس في السرير . ووقع الخنجر الجزيني الجميل من من جيبه وهو ينزع عنه ثيابه فلم يهتم به ولا هو كلف نفسه عناء التقاط ذلك الخنجر فكأن الأمر لا يعنيه . ونام .

واقبلت وهيبة بعد قليـــل لتشاهد الخنجر المصقول على الأرض . وأدركت انه خنجر سليمان وهي تعلم ان سليمان من « انصار » الخناجر . وقد كان دائماً يقول لها : « مجنون من يقتل عدوه بالرصاص . الرصاص فضاح خائن ثرثار أما الخنجر فهو الصديق الوفي الصامت ابداً . القتـــل بالخنجر افضل منه بالرصاص » .

والتقطت وهيبة الخنجر واعجبت به . وراحت تقلبه بيديها ممعنة النظر في ذلك الفن الرائع الجميل . وقرأت على الخنجر الحرفين « ف.ع» وهمست في سرها من هو صاحب الخنجر ؟ من وهو صاحب الاسم الذي يبدأ بـ «ف» ؟ وخيل اليها ان هناك صديقاً اهدى الخنجر لصديقه سليمان ، وأعادت الخنجر إلى جيب عشيقهـــا بدون ان تهتم للأمر وبدون ان يثير الخنجر في رأسها أي هاجس ولا أي فكرة مقلقة مضة . وجلست قرب سليمان على السرير تطالع قصة بوليسية مثيرة رائعة . ولم يستفق سليمان الصقر من نومه الا والشمس قد بدأت تتأهب للأفول وراء الأفق . وكانت وهيبة قد بدأت تستعد للخروج من الدار إلى العمل في الحانة المتواضعة السوداء .

وكانت جالسة على مقعد صغير قرب السرير تجاه مرآة كبيرة ترتدي ثوباً فاضحاً من حرير يكشف عن الكثير من جسدها الندي الجميل وبيدها قلم « الروج » تصبغ به شفتيها . والتفت سليمان اليها يقول : « وهيبة ، هــاتي فنجان قهوة » وتمتمت : « حاضر يا حبيبي » . ونهضت لتسرع الى المطبخ تهيء له القهوة وتعود اليه بها . وجلست على السرير ، قربه ، وقدمت له فنجان قهوة وتناولت هي فنجاناً . وقدم لها سليمان لفافة وأشعل هو

لفافة وجلسا يرشفان القهوة ويدخنـــان ويتسايران . والتفتت وهيبة فجأة الى سليمان تسألة : « سليمان هل تحبني ؟ » ودهش سليمان لهذا السؤال . لماذا تسأله وهيبة مثل هـذا السؤال في مثل هذه الساعة ؟أتراها وقفت على حقيقتهمن لمياء ابنة مسعود المير ؟ وهمس : « وهيبة ! انت تعلمين أي نار تندلـع في قلب حبيبك سليمان . انت تعلمين يا حبيبتي كم هو مقدار حبي لك ، انت تدركين ان سليمان يحبك حباً أقوي من الموت واعمق من الحياة ، أنت تعلمين كل هذا يا وهيبة ، فلماذا تلقين عليّ مثل هذا السؤال ؟ لماذا يا وهيبة » ؟

وهمست وهيبة وهي تداعب شعره الأســود الكثيف : « أريد ان اطمئن الى مصير حبنا يا سليمان . أريد ان أتأكد من حبــك » قال وهو يرشف القهوة وينفث الدخان : « ألم تتأكدي من حبي بعد يا وهيبة ؟ أما زلت تشكين بإخلاصي وبوفائي ؟ » قالت : « المرأة تريد ان تسمع دائماً كلمات الحب من فم حبيبها وتريد ان تزداد تأكيداً من حبه . قــل لي يا سليمان ، قل لي يا حبيبي ماذا ستفعل اذا هجرتك؟اذا ابتعدت عنك ؟ اذا ابدلتك بحبيب جديد ؟ قل لي ماذا تفعل بي ؟ » قال فوراً : « أقتلك » فابتسمت وهمست : « لماذا ؟ » قال : «لأنني أحبك ولا أريد أن أتخلى عنك ، لا أريد أن تكوني لرجــل غيري » قالت بكل خبث ومكر ودهاء : « أتعلم ماذا أفعل أنا اذا هجرتني أنت ؟ إذا ابتعدت عني لتحب امرأة غيري ؟ » .

قال : « ماذا تفعلين ؟ » قالت : « كما تفعل انت اذا هجرتني اقتلك » فأمسك بيدها يقبل راحتها وهمس : « اطمئني ، نحن سنظل قرب بعضنا . أنت قربي وأنا قربك حتى الموت » .

وألقت بنفسها على صدره.وهمست : « أنا لا أعلم مـــا بي يا سليمان يخيل الي أنني سأفقدك . يلوح لي ان ثمة امرأة ستسلبني اياك . لا اعلم ما بي يا سليمان ، لا اعلم مـــا بي يا حبيبي . ان هواجسي تكاد تقتلني . تكاد تفتك بي ، تكاد تقضي عليّ » فضمها الى صدره وتمتم بمكر : « لماذا يا وهيبة ؟ لماذا تستسلمين لمثل هذه الهواجس المخيفة المقلقة ؟ هل لاح لك مني ما يبعث الهواجس ويثير القلق والظنون ؟ » فأمسكت بيده تشدهـــا وترفعها إلى شفتيها فتلثمها لتقول : «أتريد ان اقول لك الحقيقة؟ اتريد أن تعلم كل شيء ؟ » قال : « هذا كل ما أريد » قالت : « أنا سأفصح لك عما يخالج قلبي ويقلق راحتي وينقض مضجعي » واستوى في السرير على قلق وخوف وقد خشي ان تكون قد فضحت امره . خشي ان تكون واقفة على حبه للمياء إلا انه اطمأن وهو يسمعها تقول : «منذ تلك الليلة التي سمعتك تتحدث فيها الى صديقك جميل المندور عن اختطاف الفتاة المجهولة بدأت الهواجس السوداء تعصف بي . اقول لــــك الحقيقة يا سليمان ؟ لقد خيل الي انك تريد ان تختطف تلك الفتاة وتتزوج منهـــا وتهرب مني » فقهقه بكل خبث ودهـاء وتمتم : « يا مجنونة . هل هناك امرأة في العالم تستطيع ان تسلخني عنك وتنتزع

حبك العظيم من قلبي ؟ انت كل املي في الحياة يا وهيبة . انت المرأة الوحيدة التي استطاعت ان تستولي على قلب سليمان الصقر وان تستبد وتستأثر به . اطمئني يا حبيبتي اطمئني وثقي انني لن ابتعد عنك الا الى القبر » . وضمته الى صدرها بقوة وجنون وهمست : « يا حبيبي » .وضحك سليمان الصقر في سره وقد جازت الحيلة على عشيقته الحسناء .

واطمأن وقد استطاع ان يوهم وهيبة انه متيم بهواهـــا . مسكينة ، لقد آمنت بما قال ، لقد صدقته . وهي لو استطاعت الدخول الى اعمق اعماق قلبه لأدركت انه كاذب منافق محتال . وانه لا يحب الا لمياء ولا يميل الا الى لمياء ولا يفكر بسوى لمياء .

ونهضت وهيبة ترتدي ثيابها وتسكب العطر على شعرها وعنقها وثيابها وراحتيهـــا وتقول : « انا سأخرج الآن . سأذهب الى الحانة . متى ؟ في أي ساعة ستلحق بي ؟ » قال : « بعد ساعة واحدة. سأنهض الآن فارتدي ثيابي واشخص الى دار صديقي جميل المندور ثم اذهب واياه الى الحـــانة » . قالت : « لدي مفتاحان للدار . سأحتفظ بمفتاح وأعطيك المفتاح الثاني . اقفل الباب جيداً بعد ان تخرج يا حبيبي » . ووثبت اليه تعانقه ثم تخرج من الدار والأحلام الوارفة العذاب تغمر روحها وتسكب على قلبها العطف والحب والشوق والحنين وقد اطمأنت الى مصير قلبها الولوع وآمنت بكل ما سكب حبيبهـا سليمان الصقر في أذنيها من وعود زاهرة زاهية وعهود عطرة سمحاء .

**

ونهض سليمان الصقر بعد ان خرجت عشيقته وهيبة من الدار يغسل وجهه ويهم بارتداء ثيابه وقد عزم على ان يشخص إلى دار صديقه الحميم جميل المندور ليطلعه على ما جرى له أثناء مراقبة دار مسعود المير الجاثمة في قلب بستان الليمون على هدأة وسكون. وفيما هو يهم بارتداء الثياب لاحت قبضة الخنجر الجزيني تطل من جيب الثوب . ومد يده يخرج الخنجر من الجيب وقـــد تذكر كيف سرقه من دار ناصر المبلان . وراح يقلب الخنجر بين يديه على اعجاب وتقدير . يا له من خنجر جميل أنيق دقيق الصنـــع. سيحتفظ به لنفسه . وهو بحاجة اليه اكثر من فؤاد المبلان . فؤاد المبلان شنق ذلك الخنجر المصقول في جدار غرفة الاستقبال، أما هو سليمان، فلن يجعل من ذلك الخنجر تحفة يعرضها على الزائرين. الخناجر لم تصنع لمثـل هذه المهمة . سليمان يعرف قيمة الخناجر ويدرك المهمة التي من أجلها صنعت . هو أولى بهـذا الخنجر من فؤاد المبلان، وفؤاد المبلان لا يقـدّر قيمة الخنجر ولا يحله في المـكان اللائق به .

وفيما هو يقلب الخنجر بين يديه بإعجاب وتقدير وقع نظره على الحرفين المنقوشين في قبضة الخنجر الأنيق . وسمرت عيناه بالحرفين وقرأهما بإمعـــان « ف . ع » وهمس فوراً : « فؤاد المبلان . هذا هو خنجر فؤاد فـلو قتل انسان بهذا الخنجر لما اتهم بقتله سوى صاحب الخنجر . سوى فؤاد المبـلان » . ووجم ، واضطرب وهذه الافكار تمخر عباب رأسه . ورمى

بالثوب بعيداً عنه . لقد عدل عن ارتداء الثوب الآن . هناك ما هو أهم من ارتداء الثياب هناك نواة خطة شريرة ، خطة مؤامرة دنيئة مجرمة انبثقت في خاطره ، فليعمد إلى الاعتناء بتلك النواة لتنمو وتزدهر ويقطف ثمرتها الشهية . وبـدأ الشيطان اللعين الخبيث الشرير يرسم لسليمان الصقر الخطة الجانية . وانصرف إلى التفكير باهتمام كلي . لقد بدأت الأقدار تخدمه في حين كان يفكر بأن تلك الاقدار تعانده . لقد أرسلت الأقدار اليه فؤاد العبلان الى بستان مسعود المير ليشاهده واقفاً في البستان . ثم مهدت تلك الأقدار السبيل له للدخول إلى دار فؤاد . وأوقعت الخنجر ، خنجر فؤاد بين يديه . فماذا يريد بعد أكثر من هذه الخدمات القيمة الثمينة التي قدمتها له الأقدار ؟

وهو لو أنصف لما نسب هذه الخدمات إلى الأقدار بل لجزم أن الشيطان الأثيم هو الذي مهد أمامه السبيل، وهو الذي أدى له هذه الخدمات. وهو لو انصف أكثر لما أطلق على تلك الأحداث اسم الخدمات بل لاطلق عليها اسماً آخر غير الخدمات ، لأطلق عليها اسم التجربات ، لأن الشيطان لا يمكن ان يخدم الانسان على هذه الأرض ولا ان يساعده ولا ان يمهد أمامه السبيل . الشيطان لا يقود الانسان إلا الى الظلام ، إلى الشر ، إلى التعاسة إلى الجريمة إلى الشقاء . والانسان المسكين لا يستطيع ان يفرق بين الخدمة وبين التجربة . بين النور والظلام وبين الخير وبين الشر إلا إذا لجأ الى النور الحقيقي إلى تلك القوة الهائلة الخالدة

السرمدية ، إلى الله .

وانغمس سليمان الصقر في تفكيره وهو يحمل الخنجر الجزيني بيده وراح يرسم خطة الجريمة بكل يقظة وحذر . وكان الشيطان يساعده في رسم خطوط الجريمة . وابتدأت خطوط الجريمة ترتسم أمام سليمان الصقر . هو لم يستطع ان ينفذ خطته الأولى ، لم يستطع أن يقضي على فؤاد العبلان ، لم يستطع أن يلقي بفؤاد في القبر ليظفر بلمياء فلماذا لا يلقي به في السجن . وأي فرق بين القبر والسجن . في السجن ؟ ومن قال ان الجريمة ستوصل إلى السجن فقط ؟ قد تذهب به توا إلى القبر عن طريق الاعدام . وماذا تكون النتيجة ، سواء أذهب فؤاد إلى السجن أو إلى القبر ؟ ستكون النتيجة الظفر بلمياء . ستكون لمياء لسليمان الصقر بعد ان يتوارى فؤاد العبلان من الميدان. واطمأن كل الأطمئنان . وهنا الافكار تدور في رأسه ، وانتقل إلى الفصل الثاني من الخطة الدنيئة .

لقد قرر في الفصل الأول ان يقتل انساناً بخنجر فؤاد العبلان فيتهم فؤاد بقتله . ولكن من هو هذا الانسان الذي سيغمد سليمان الصقر خنجر فؤاد العبلان في قلبه ؟ وانصرف الى البحث عن الضحية . من هي الضحية ؟ من هي ؟ من هي ؟ وانغمس في التفكير العميق . ولاح له خاطر بعيد من وراء حجب التفكير. سيفتك بعشيقته وهيبة رشدان ، يغمد خنجر فؤاد العبلان في صدرها ويقضي عليها . ويصيب بحجر واحد عصفورين ، يخلص

من وهيبة ومن مضايقتها ويخلص من فؤاد .

وهيبة تدخل إلى القبر وفؤاد يدخل إلى السجن . وهو سليمان ، يدخل الى قلب لمياء . وابتسم وهو يصل بتفكيره عند هذا الحد واطمأن . يا لها من خطة موفقة ستضمن له الفوز بالأماني الهانئة العذاب . وأغمض عينيه ليشاهد بعين نتائج الجريمة التي يحبك خيوطها السوداء بكل حكمة ودهاء. وشاهد بعين الخيال عشيقته وهيبة تقع مضرجة بدمائها تحت طعنات الخنجر الجزيني المصقول . ثم يأتي رجال الأمن وينقلون جثة الغادة الحسناء الى المستشفى ويصادرون الخنجر ، ويقرأون عليه الحرفين : ف.ع ، ويبحثون عن صاحب الخنجر فيهتدون اليه ، ويعتقلون فؤاد العبلان ويتهمونه بقتل الغانية . ويصل الخبر الى لمياء فتغضب وتثور . ويخيل اليها ان فؤاداً خائن .

كان يخونها مع وهيبة رشدان ، ثم قتلها . إذن هو ليس خائناً فحسب ، بل هو مجرم قاتل . ولمياء لا تريد أن تتزوج من مجرم خائن قاتل .. ويخلو الجو له ، ويعود إلى طلب يدها مجدداً . ومن المؤكد ان والدها لن يرفض طلبه هذه المرة . واتسعت الابتسامة الهانئة على شفتيه وهذه المشاهد الرائعة تنساب الى خياله .

إلا ان الابتسامة بدأت تخبو وقد ومضت أفكار مقلقة في

رأسه . كيف سيعلم رجال الامن ان الخنجر هو ملك فؤاد العبلان . صحيح انه حفر حرفان على الخنجر « ف.ع » ولكن هناك مئات بل الوف الاسماء تبدأ بحرف الفاء والعين لماذا يكون صاحب الخنجر فؤاد العبلان ولا يكون فريد عاصي مثلاً . قد يضل رجال الامن السبيل للوصول إلى فؤاد لا سيما وليس هناك من يشهد ان بين فؤاد وبين وهيبة أي علاقة ولا أي عداوة فلماذا يقتلها اذن ؟ اذا كان لا بد لرجال الامن ان يبحثوا عن قاتل وهيبة فهم لن يبحثوا الا عنه هو ، عن سليمان . والكل من اصدقائه وأصدقاء وهيبة يعلمون انه عشيقها وان وهيبة تغار عليه غيرة عمياء . قد يقع هو في الفخ اذا قتلت وهيبة .

الخطة التي رسمها والتي تخيل اليه انها الخطة الناجحة كانت بعيدة عن النجاح بعد الارض عن السماء . لا يجوز ان يقتل وهيبة . قتلها لا يصل به الى الامل المنشود . اذا كان لا بد من قتل إنسان واتهام فؤاد فيجب ان يكون القتيل خصم القاتل . يجب ان يبحث اذن عن خصم ، عن عدو فؤاد العبلان . من هو هذا العدو ؟ من هو هذا الخصم ؟ من هو ؟ وراح سليمان الصقر يفكر ويمعن في التفكير دون ان يستطيع الوصول الى حل يرضيه ويخفف عنه العبء الثقيل الشاق . وفجأة لمع في رأسه خاطر سريع . هناك عدو كبير لفؤاد العبلان . هناك حسيب المير شقيق لمياء . ألم يطعن حسيب فؤاداً ويدفع به الى المستشفى ؟ ألم تقع عداوة بين الاسرتين اسرة العبلان واسرة المير ؟ أجل .

لقد قامت تلك العداوة بين الاسرتين لمدة من الزمن .. سيخيل لرجال الامن ان العداوة لا تزال قائمة بين آل العبلان وآل المير ، وسيلقون القبض على فؤاد ويحرزونه إلى السجن في حين يشيع آل المير ابنهم الى المقر الاخير .

وارتاح كل الارتياح وهو يصل الى النتيجة المضمونة .وجلس يدخن ويرسم الخطة باتقان واتزان وذكاء . كيف سيقدم على الجريمة ؟ سيكمن ليلا في بستان الليمون. وفيما يعود حسيب من الملهى الليلي ، من مقابلة عشيقته الغانية الحسناء يثب اليه من الوراء وينهال عليه بالطعن . طعنة في ظهره كافية للقضاء عليه . ولا بأس في ان يطعنه طعنة في الخاصرة . وطعنة في العنق وطعنة في الإمعاء . لن يتركه الا وقد لفظ انفاسه . سليمان الصقر خبير في أصول القتل . ليس حسيب المير الضحية الاولى التي يختارها سليمان الصقر . ولن يكون الضحية الاخيرة . واطمأن .لقد انتهى من رسم الخطة .

بقي عليه ان يختار الزمان . متى سيفتك بحسيب المير ؟ متى ؟ الليلة . لماذا لا يفتك به الليلة ، لقد قيل خير البر عاجله. فليستعجل سليمان « بره » فليسرع في تنفيذالخطة المضمونةالفوز التي تنيله مآربه وتحقق امانيه . الليلة سيفتك سليمان بحسيب، وغداً يكون فؤاد في السجن وبعد غد يبدأ في الخطوة الثانية من خطة الوصول الى قلب لمياء .

ونهض يرتدي ثيابه على راحة واطمئنان . واخفى الخنجر المصقول في جيبه وخرج من الدار ، دار عشيقته وهيبة وقد عزم على الذهاب الى الحانة ، الى عشيقته . سيسهر الليلة مع وهيبة . ويجتمع بصديقه الحميم جميل المندور ويطلعه على ما عزم عليه . وسار في الطريق الى الحانة ، وفي منتصف الطريق توقف عن المسير وقد مرت بخاطره فكرة سريعة . لماذا يطلع جميلا على خطته ؟ لقد قيل كل سر جاوز الاثنين شاع . وسليمان لا يريد ان يشاع سره الدفين ، لا يريد ان يطلع احداً على سره . لا . لا . لن يطلع جميلا على السر . بل سيحتفظ بالسر لنفسه .

لن يذهب الى الحانة . لن يقابل جميلا الليلة ولن يتصل بعشيقته وهيبة ، سيتفرغ الليلة للمهمة الشاقة وعندما يرتاح من مهمته ،عندما تكلل خطته بالنجاح يلجأ الى الراحة والاطمئنان. وعاد ادراجه وسار وهو يفكر . إلى اين ؟ الى اين سيذهب الليلة ؟لن يستطيع ان ينفذ ما عزم عليه إلا بعد منتصف الليل. والساعة الآن تشير إلى التاسعة ليلاً . امامه أربع أو خمس ساعات . اين سيقضي هذه الساعات الحمر، ؟ أين ؟ أين ؟ وكان يسير وهو مطرق الرأس يفكر . واهتدى الى الجواب على السؤال . أين سيقضي الساعات القليلة ؟ في الملهى الليلي حيث يقضي حسيب المير سهرته . سيقضي السهرة وإياه ثم يفتك به .

وسار الى الملهى الليلي العامر الجاثم من قلب عاصمة الشمال في

الصميم..ووصل إلى الملهى الفسيح الأرجاء . ودخل إلى الملهى . وكان الازدحام شديداً ، والدخان ، دخان التبغ ينتشر في فضاء الملهى جاعلاً من ذلك الفضاء اجواء ملبدة بالغيام . وكانت البرامج الموسيقية قد بدأت . والراقصات يتأهبن للظهور على المسرح والمطربات ينتظرن موعد ادوارهن. والسكارى جالسون حول موائد الخمر . والعشاق قرب عشيقاتهم . والأصدقاء قرب اصدقائهم ، والموسيقى ترتفع على صخب ودوي تكاد أن تمزق الآذان. وطاف سليمان الصقر أرجاء الملهى باحثاً عن حسيب المير. أين هو حسيب ؟ أين هو ؟. لم يجده . بل هو وجد عشيقة حسيب الغانية الجميلة الحسناء وكانت جالسة في الزاوية التي اعتادت أن تجلس فيها مع حسيب ، كانت جالسة وحدها تدخن لفافة وتنظر إلى الخارج من خلال الزجاج وكأنها تنتظر حدثاً ، كأنها تنتظر حبيباً ممعناً في الصد والنفور .

وأيقن سليمان ان المرأة الحسناء تنتظر حسيباً ، وتقدم منها ، محييا والابتسامة تطفو على شفتيه . وهمس : « مساء الخير » والتفتت اليه وتمتمت : « مساء الخير » .

قال : « أراك وحدك الليلة . أين أخي حسيب ؟ » قالت بألم : « لم يحضر حتى الآن . لا أعلم لماذا تأخر وكان من عادته أن يحضر كل ليلة في الساعة التاسعة تماماً » . ووجم . ترى هل يتخلف حسيب الليلة عن الحضور فتضيع على سليمان الفرصة

السانحة وتفشل الخطة التي أجهد نفسه في رسمها ووضع تصميمها؟ وعاد إلى الكلام ليقول للحسناء : « سيحضر ولا شك . لا بد من حضوره . من المؤكد أنه سيحضر » وقلبت المرأة الفاتنة شفتيها وكأنها تقول له : « لست أدري » . ولاحَ منها أنها متبرمة متأففة متذمرة فانصرف عنها ، وابتعد ليجلس عند طاولة قريبة منها وبطلب إلى الخادم أن يأتيه بكأس عرق . وجاءه الخادم بما طلب . وجلس يرشف الخمر ويدخن وينظر إلى باب الملهى من حين إلى آخر مترقباً دخول حسيب المير . وطال ترقبه وحسيب لم يبن له أثر .

وراح يرمق الغادة الحسناء عشيقة حسيب بنظرات حيرى من حين إلى آخر وكأن نظراته تسألها :

« لماذا لم يحضر حسيب » ؟ والغانية لم تكن تعلم لماذا لم يحضر عشيقها وقد كانت مثل سليمان الصقر ترقب حضوره . وطال الانتظار . إنتظار الغانية وانتظار سليمان . الاثنان ينتظران حضور حسيب . ودقت الساعة العاشرة وحسيب ما أطل . ووثبت الساعة إلى العاشرة والنصف وحسيب لا يبن له أثر فتبرم سليمان ورأى ان ينصرف ويشخص إلى ضواحي طرابلس ، إلى دار حسيب المير يكمن في بستان الليمون . قد يكون حسيب ذهب لقضاء السهرة في دار أحد الاصدقاء ، ولا بد له من العودة إلى داره . سيكمن في البستان. وعندما يعود يكون له بالمرصاد

لا بد من تنفيذ الخطة الليلة . الليلة يجب ان يخلص من حبيب ليخلص غداً من فؤاد . الليلة . لا يجوز التأجيل للغد . سليمان الصقر يريد السرعة في التنفيذ،وهو لا يستطيع التريث ولا يريد التسويف . ونادى اليه الخادم ينقده ثمن الخمر وبهم بالمسير . وحانت منه التفاتة نحو الباب ليشاهد حبيباً داخلاً على ارتياح واطمئنان . وعاد سليمان الى الجلوس على المقعد الخشبي . وشاهد حبيب المير يتجه نحو الزاوية المغمورة بالنور الاحمر الواهي الضئيل إلى حيث تجلس عشيقته الحسناء ...

وشاهده يجلس قربها . وانتقل سليمان من مقعده إلى مقعد قريب من حبيب ومن عشيقته . فهو يريد ان يسمع ما يدور بينهما من حديث . وسمع حديثهما . سمع حبيب المير يقول لعشيقته . « مساء الخير يا كواكب » ولم تجب كواكب بل هي تنفث دخان لفافتها في الفضاء بلا مبالاة . وأدرك سليمان ان « الست » كواكب غضبى، تأخر حبيب في الحضور أثار غضبها . وعاد حبيب الى الكلام ليقول : « ما بك يا كواكب لماذا لا تتكلمين » ؟ وسمع كواكب تقول بلهجة بنات الليل المتمردات الثائرات الغاضبات : « نعم ؟ أتريدني أن أضحك وأصفق لك وأرحب بك بعد أن تأخرت عن الحضور زهاء ساعتين » ؟

قال : « إنني أعتذر يا كواكب اعتذر يا حياتي » . فأجابت : « ماذا يفيدني الاعتذار أريد أن اعرف لماذا تأخرت اجبني بكل صدق . أين كنت ؟ هل تستطيع

أن تقول لي اين كنت » ؟ قال وهو يبتسم : « — معلوم — استطيع » قالت : « قل . أين كنت . من هي حضرة الست المصون التي شغلتك أيها السيد حبيب وارغمتك على البقاء عندها حتى هذه الساعة ؟ هل استطيع ان اعرف من هي ؟ »

نعم من هي هذه الفاسقة الرائعة قل من هي أجبني .

وعاد حبيب الى الابتسام ليقول : « انتن لا تفهمن إلا بلغة الغيرة العمياء . هل من الضروري أن يكون سبب تأخيري وجودي في دار امرأة ؟ يا مجنونة يا كواكب . أيخيل اليك ان حبيباً يلتفت إلى امرأة غيرك ؟ أيلوح لك ان هناك امرأة في العالم تستطيع ان ترغمني على البقاء عندها في حين أنني أعلم بأن كواكب هنا تقيم على انتظاري ؟ لا يا كواكب. لا وحياتك أنا لم أكن في دار امرأة حسناء » قالت بحزم وعزم : « أين كنت إذن ؟ هل استطيع ان أعلم أين كنت ؟ تفضل قل » . قال : « كنت في دارنا » قالت مقاطعة : « منذ متى كنت تقيم في الدار حتى هذه الساعة ؟ » قال :

« لقد حضر الينا بعض الأقارب لقضاء السهرة فلم أستطع التسلل من الدار حتى هذه الساعة » .

قالت : « ومن يثبت لي صحة ادعائك » ؟ قال وقد امسك بيدها يشدها : « إنني أقسم لك يا كواكب . أنا لا احاول ان أن أخدعك . أنا لا انطق امامك بالكذب . ثقي ان كل ما

اقوله لك هو الصدق بعينه . إطمئني يا حبيبتي اطمئني ،حسيب المير مخلص في حبه صادق في هواه » . قالت ، وقد بدأت تلين: « انني لأرجو مخلصة ان تكون صادقاً في ما تقول يا حسيب ».

قال : « وحياتك أنا صادق لا تظني بي السوء . حرام عليك ! لا تظلميني يا كواكب . لا تظلميني يا حبيبتي .

ونادى حسيب الخادم اليه وقال له : « هات زجاجة ويسكي » وجاءه الخادم بالويسكي . فصب كأساً له وكأساً لعشيقته وراحا يرشفان الخمرة على مهل ويتبادلان أحاديث الحب والهوى والغرام . وابى سليمان الصقر أن يبتعد عنهما .سليمان لن يغادر الملهى الا وقد همّ حسيب المير بمغادرته . ودعا اليه الخادم يطلب منه ان يأتيه بالعرق . سليمان من انصار العرق . العرق وحده يستطيع ان يفرح قلب سليمان وان يبعث في ذلك القلب الشجاعة والقدرة على اقتحام الصعاب وتذليلها وتنفيذ المؤامرة التي رسم خطوطها في غياهب الظلام . ودقت الساعة معلنة انتصاف الليل وسليمان الصقر جالس يرشف الخمر ويدخن ويسترق أحاديث الهوى والحب والغرام بين حسيب وكواكب . وبدأ الضجر يتسرب الى قلب سليمان . وود لو ان ذلك الحديث ينتهي بين العاشقين . ود لو ان حسيباً ينهض ويودع كواكب ويعود إلى داره كي يسرع هو ويسبقه إلى البستان ويكمن له ويتخلص منه. الا ان أمنية سليمان لم تتحقق. فقد طال جلوس العاشقين وامتدت

أحاديثهما الى بعيد .

ودقت الساعة الحادية بعد منتصف الليل والعاشقان المتيمان ما زالا في جلستهما الهانئة الحالمة السمحاء . ثم دقت الساعة الثانية بعد منتصف الليل . وبدأ رواد الملهى الليلي الصاخب يتفرقون ، بدأوا يخرجون من الملهى عائدين الى منازلهم.وبدأت أصوات الموسيقى تخف رويداً رويداً وحسيب المير وعشيقته جالسان يتحدثان ويتساران ويتناجيان بألحان الهوى والشوق والحنين . وكاد الضجر والملل يدفعانه الى تأجيل موعد التنفيذ تنفيذ الجريمة الى الليلة المقبلة. الا انه سمع كواكب تقول لعشيقها: « الساعة بدأت تميل الى الثانية والنصف تعال نذهب يا حسيب» وقال حسيب : « أنا سأعود الى الدار » وتمتمت كواكب : « الا تريد ان تذهب معي الى داري الليلة يا حسيب ؟ » وتمنى سليمان أن يكون جواب حسيب الرفض الا ان حسيباً خيب الأمل وقال : « الساعة الآن تشير الى الثانية والنصف كما تقولين . لم يعد لدينا متسع من الوقت يا حبيبتي » وكان رفضه مغلفاً بالقبول. وقالت كواكب : « لا بأس سترافقني الى داري ونقضي معاً نصف ساعة فقط وتعود الى دارك وبودي ان اراك أكثر فأكثر يا حسيب ولا أدري لماذا أود قربك هذه الليلة لست أدري .

وتبرم سليمان ، فعليه ان ينتظر نصف ساعة . وربما امتد النصف الى ساعة كاملة . لا بأس سينتظر . سيسبق حسيباً الى البستان وينتظره هناك ، ونهض حسيب ، ونهضت الغانية

الحسناء ، وخرجا من الملهى . وما هي الا دقائق قليلة حتى كان سليمان الصقر يخرج وراءهما ليستقل سيارة تاكسي ويطلب الى السائق أن يطير به الى ضواحي عاصمة الشمال . وترجل من السيارة بعيداً عن بستان الليمون ، عن المكان الذي اختاره مسرحاً لجريمته الرهيبة النكراء كي لا يثير الشكوك في نفس السائق في اليوم الثاني عندما تكشف الجريمة . وعاد السائق بسيارته أدراجه .

وسار المجرم سليمان الصقر بكل حذر الى البستان الشاسع الواسع الفسيح الأرجاء . وتسلل الى البستان وهو يلتفت الى اليمين والى اليسار والى الوراء ليتأكد من ان ليس ثمة من يراه . وتأكد . فليس هناك عين ساهرة يقظى . الكل نيام والطريق مقفر والاضواء مطفأة في المنازل والدور والاكواخ المنتشرة في تلك الانحاء ، والظلام الواهي يغمر ضواحي طرابلس بجناحه الاسود الظليل . وساد السكون فليس هناك حركة ولا همسة ولا صوت . ما هناك سوى حفيف أوراق الليمون التي تتمايل بين أيدي نسيم الليل العليل ساكبة في اذن الليل وشوشات خافتة هادئة تبعث في النفس الخشية والحنين . وانغمس سليمان الصقر في الظلام وتوغل بين أشجار الليمون في الطريق المؤدي الى دار مسعود المير .

وتحسس خنجره الخنجر الجزيني المصقول ، ووقف تحت

شجرة الليمون ، ينتظر حضور حبيب وقد تأهب لتنفيذ جريمته النكراء . واقام على قلق واضطراب . كان يرهف اذنيه جيداً وقد خيل اليه ان حفيف اوراق الليمون المتراقصة بين أيدي النسيم اصوات الوف الارواح التي تشاهده وتسمعه وتراه . وحوّل نظره الى الفضاء الواسع الارجاء . وشاهد النجوم تتهادى في الفضاء على فتنة وجمال فخيل اليه ان تلك النجوم عيون تراقبه وتحصي عليه انفاسه . الا انه لم يخف ولم يرتعش ولا هو تردد في تنفيذ الخطة المرسومة . كان حب لمياء قد عصف بقلبه وبعث الى ذلك القلب الجرأة والشجاعة . كان يريد أن يصل الى لمياء بأي ثمن ، بأي وسيلة . سليمان الصقر لن يتراجع عما عزم عليه ، لن يخاف لن يعود أدراجه إلا وقد استقل انفاس حبيب المير . وفي استقلال أنفاس حبيب الوصول الى اخته لمياء . وطال انتظاره زهاء ساعة وحبيب لم يطل .

وخشي أن يدهمه الفجر وان تفضحه أنوار الصباح . وبدأ الخوف يتسلل إلى قلبه . الخوف من الفضيحة ، الخوف من ضياع الفرصة السانحة . اذا لم يعد حبيب قبل انبلاج الفجر فهو لن يستطيع القضاء عليه . ترى هل يتأخر حبيب في العودة إلى داره وتضيع الفرصة السانحة على سليمان . وشعر سليمان بأنفاسه تضيق والفجر يتأهب للبزوغ . وتأفف ، وراح يراقب الشفق والغضب يستبد به والحنق يعصف في حناياه ... واذا بوقع

اقدام يتكسر في اذنيه . واشتد الإضطراب به . لقد اقتربت الساعة الرهيبة ، ساعة ارتكاب الجريمة . وكانت عيناه قد الفتا الظلام فشاهد حسيباً يسير الهوينا مقترباً منه . كان يسير بوهن فالسهر والحب والخمرة تعاونت عليه وهدت قواه وبعثت العياء الى جسده والوهن إلى رجليه . وامسك سليمان بالخنجر . والتصق بشجرة الليمون يختفي بين أغصانها الوارفة الخضراء .

واقترب حسيبٌ منه ، ومرّ قربه وما ابتعد عنه خطوة واحدة حتى كان سليمان ينتضي الخنجر المصقول ويثب اليه من الوراء لينهال عليه بطعنة قوية نجلاء . وغرز الخنجر في ظهر حسيب المير فتهادى . وقبل ان يصرخ . قبل ان يتمكن من الاستنجاد كان سليمان يضع يده اليسرى على فمه ليمنعه من الصراخ في حين كانت يده اليمنى تسحب الخنجر من الظهر ، من ظهر حسيب لتغمده طعناً من جديد في رقبته ثم تسحبه من الرقبة لتغمده في الخاصرة ووقع حسيب يتخبط بدمه . ووقع معه سليمان . وجثم على صدره ينهال طعناً على امعائه وعنقه وصدره ورأسه بوحشية مروعة رهيبة وحسيب يتلوى على التراب كالعصفور الذبيح . ولم يرتد عنه الا وقد أصبح جثة هامدة لا لا روح فيها ولا حياة . ولم يعرف قلبه ، قلب سليمان الصقر الشفقة ، ولا لامسته الرحمة وهو يرى حسيب المير جثة هامدة بل

هو الق بالخنجر الملوث بالدم قرب ضحيته وتسلل من البستان ، كما دخل بكل حذر وسار في الطريق البعيد عائداً الى طرابلس وكأن يده الأثيمة لم تقترف جرماً ولا هي ازهقت روحاً ولا ارتكبت جناية مروعة رهيبة نكراء .

الفصل السادس

الجريمة

استفاقت عاصمة الشمال الخضراء على جريمة مروعة رهيبة . حسيب بن مسعود المير وجد قتيلا في بستان والده في ضواحي طرابلس .

وأسرع رجال القضاء ورجال الدرك والطبيب الشرعي ، ورجال الأدلة الجنائية الى مكان الجريمة ، الى بستان مسعود المير . وكان والد الشاب الصريع ووالدته وشقيقته في حـالة تفتت الاكباد . كان والده يندبه بأرق الالفاظ واسمى المعاني . وكانت امه تحاول الوثوب اليه ، اليه ؟ لا بـل الى جثته المخضبة بالدم تولول وتبكي وتهـذر : « ابني ابني ابني أريد ان اراه . رحماكم دعوني أضمه الى قلبي فهو حي . لم يمت ، لا لم يمت حسيب وأظل أنا على قيد الحياة » ؟

وكانت شقيقته لمياء تبكي بدموع غزيرة مدرار وتتمتم : « يا روح أختك يا حسيب . يا ليتني مت قبلك يا أخي يا حبيبي يا حسيب » وكان الجيران . وفي طليعتهم ناصر العبلان وابنـه فؤاد وزوجته ، قد أسرعوا إلى دار جارهم المنكوب في ابنـه الشاب يواسون الوالـد المفجوع بولده والأم الثكلى والشقيقة الملتاعة الباكية الحزين . وانصرف رجال القضاء ورجال الدرك ورجال الأدلة الجنائيـة إلى التحقيق ، وعثروا على الخنجر الذي قتل به الشاب . فتبادل جميعهم ابتسامة هادئة رصينة . ووثب رجال الأدلة الجنائية الى قبضة الخنجر يحـاولون رفع بصمات القاتل عنها إلا أن القبضة كانت ملوثة بـدم القتيل وبالتراب ولم يكن من المستطاع الوصول إلى البصمات . إلا أن الحرفـين المحفورين على قبضة الخنجر الجزيني الجميل « ف . ع » أثارا اهتمام رجال القضاء ورجال الدرك : « من هو صاحب الخنجر المصقول الذي يبدأ اسمه بحرف الفاء ويبدأ اسم عيلته بحرف العـين ؟ وهمس المحقق في أذن ضابط الدرك إبحثوا عن القاتل هنا . اسمه يبدأ بحرف الفاء واسم أسرته يبدأ بحرف العين » وبحث ضابط الدرك

واهتدى اليه دون تعب ولا عناء . وعـاد بعد قليل ليقول

للمحقق : « لقد وجدته ». وتمتم المحقق باهتمام : « من هو ؟ » واقترب الضابط من المحقق هامساً : « إنه فؤاد العبلان ». ودهش المحقق . صحيح . ف. ع. تعني فؤاد العبلان . ولكن أيمكن هذا ؟ أيمكن أن يبطش فؤاد العبلان بجاره ثم يأتي الى دار ضحيته يواسي أهله ؟ أتبلغ به الوقاحة والسفالة الى هذا الحد ؟ » واحتار المحقق في أمره إلا إن ضابط الدرك بدّد حيرته بقوله : « هناك بين فؤاد العبلان وحسيب المير عداوة ليست بالبعيدة المدى . منذ شهور قليلة دهم حسيب شقيقته لمياء وفؤاد العبلان بالجرم المشهود هنا في البستان بعد منتصف الليل فثار وانتضى خنجره وهجم على فؤاد يغمد الخنجر في صدره . وحسيب أغمد الخنجر في صدر فؤاد . كان واياه وجهاً لوجه أما فؤاد فقد طعنه في الظهر . لقد غدر به . يا له من مجرم سافل لئيم » .

وابتسم المحقق . يبدو أن الأقدار تخدمه وتسهل مهمته . ها هي خطوط الجريمة بدأت تتكشف أمامه دون عناء . وأمر المحقق ضابط الدرك بالقبض على فؤاد العبلان . وكان فؤاد جالساً قرب والد حسيب ، قرب مسعود المير يواسيه ويخفف عنه . في حين جلست لمياء تجاهه تبكي وتولول وتذرف الدموع الغزيرة الحمراء ، فاقترب رجال الدرك منه . وتقدم الضابط يهمس في أذنه : « المستنطق يريد ان يتحدث اليك . تفضل معنا » . ونهض فؤاد فوراً وسار أمامهم الى المستنطق الجالس في البستان مع كاتبه والطبيب الشرعي ورجال الأدلة الجنائية ، وقد خيل

اليه ، إلى فؤاد ، أن المستنطق يريد الاستماع إلى شهادته والوقوف منه على بعض أسرار جاره وصديقه حسيب المير . وابتسم المستنطق ابتسامة الدهاء وهو يشاهد فؤاد العبلان يقترب منه . ودعاه للجلوس : « تفضل أجلس أيها السيد فؤاد » وجلس فؤاد قرب المستنطق على مقعد خشبي تحت أغصان شجرة وارفة الظلال . وقدم المستنطق لفؤاد لفافة . وأشعل لفافة ثم أمسك بالخنجر المصقول ، يعرضه على نظر فؤاد ويسأله :

« لمن هذا الخنجر يا فؤاد ؟

ودهش فؤاد وهو يشاهد خنجره ملوثاً بالدم واضطرب . وعلا وجهه الاصفرار وهمس :

« هذا خنجري . خنجري أنا » وقال المستنطق : « أتصر على أنه خنجرك ؟ » قال فؤاد : « أجل يا سيدي . هذا خنجري . وهذا أول حرف من اسمي محفور على قبضته » والتفت المستنطق إلى الكاتب الجالس الى يمينه وقال له : « سجل » .

وسجل الكاتب إفادة فؤاد . وعاد المستنطق إلى الكلام ليقول : « هل تعلم أيها السيد فؤاد أن جارك حسيب المير قتل بهذا الخنجر ؟ » واشتد الاضطراب بفؤاد وهو يسمع كلام المستنطق وتمتم : « لا يا سيدي لا أعلم » .

وقال المستنطق بكل دهاء : « إذا كنت لا تعلم ذلك فأنا أطلعك على هذا السر . إن جارك حبيب المير قتل بخنجرك . قتله شاب كان له عند حبيب ثأر » .

وأدرك فؤاد ما يرمي اليه المستنطق أدرك أن المستنطق يتهمه بقتل حبيب فهدر: «ولكن أنا ليس لي ثأر عند حبيب. حبيب أخي وجاري وصديقي » .

فابتسم المستنطق وأكمل حديثه : « منذ شهور قليلة دهم حبيب المير شاباً يعانق اخته لمياء هنا ، في هذا البستان فثار ككل شاب نبيل كريم شريف يشاهد أخته بين ذراعي شاب وانتضى خنجره ووثب الى الشاب ، إلى الذئب الذي اعتدى على شرفه وأغمد الخنجر في صدره . وذهب حبيب إلى السجن بعد ان أرسل الذئب الى المستشفى . إلا أن الذئب المفترس عمد إلى المكر والدهاء وراح يسعى لمصالحة حبيب .

وكان له ما أراد .

وتمت المصالحة . وخيل لحبيب ، الشاب النبيل الشريف أن الذئب اصبح نعجة إلا أنه كان على ضلال والذئب لم يكن يوماً ليتحول إلى حمل وديع » . وكان فؤاد العبلان يرتجف من الغضب والقلق والمستنطق يروي له قصته مع حبيب . وتابع المستنطق

كلامه فقال : « وفي حين كان الذئب المفترس يظهر الود والمحبة والإخلاص لحبيب المير كان يدبر في الخفاء المؤآمرة الدنيئة . كان يضع خطة الانتقام من حبيب ، كان يريد ان يتخلص من



حبيب ليخلو الجو له فيعيث بدار حبيب وبشرفه وبكرامته فساداً . يريد ان يتخلص من حبيب ليظفر بشقيقة حبيب » .

وذعر فؤاد العبلان وهو يلمس التهمة لاصقة به وهدر بخوف وقلق واضطراب :

« ماذا تعني يا سيدي المستنطق ؟ مـاذا تعني » فضحك المستنطق وهمس: «أتريد ان تعرف ماذا أعني؟ الا تعلم ماذا أعني يا فؤاد ؟ لا. هذا ما لا أرضاه لك وأنت من الذكاء في أعلى مقام. يخيل إلي انك تعي كل ما أقول » فوهت عزائم فؤاد العبلان وهمس :

« أرجوك يا سيدي ان توضح ما تقول . ماذا تريد ؟ ماذا تريد ان تعلن ؟ » وهمس المستنطق بوقار : « أريد ان أقول انك قاتل حبيب المير يا فؤاد العبلان » واشتد الذعر بفؤاد وكلام المستنطق يقع منه في الأذنين.

وأحس بغمامة سوداء تسدل فوق عينيه وتقف بينها وبين النور ، وشعر بدوار شديد يدير رأسه ويعصف بدماغه. وخيل اليه انه في حلم .

من المؤكد انه في حلم .

انه حلم مزعج مقلق مخيف رهيب . وراح يتحسس عينيه

ليتأكد من أنه في اليقظة . وتأكد . تأكد عندما شاهد رجال الدرك يضعون القيود الحديدية في يديه ، وسمع الضابط يقول له :

« تفضل ».ولم يستطع الوقوف .. لم يستطع الكلام.أراد ان يتكلم،أن ينطق بكلمة ، بحرف فلم يستطع.وتأبط أحد رجال الدرك ذراعه وسار به الى سيارة الجيب . وأدار الدركي السائق محرك السيارة فأرسل هديراً نزل في اذن فؤاد العبلان كالرعد القاصف الشديد .

واستلقى في سيارة الجيب لا يعي ولا يشعر ولا يحس .وأمر الطبيب الشرعي بنقل جثة الشاب القتيل إلى المستشفى فنقلت . وشرحت ووضع الطبيب تقريره وسلمت الجثة لذويها. وأقيم للفقيد الشاب « حبيب المير مأتم حافل رائع . مشى فيه جميع ابناء المنطقة الشمالية من طرابلس ومن ضواحيها . وكان سليمان الصقر بين المعزين . وأبى سليمان ألا أن يسير في موكب الجنازة . قتل القتيل وسار في جنازته...

ونثرت الورود البيضاء على جثة حبيب . وتحول المأتم إلى عرس . وانطلقت لمياء تولول وتبكي وترقص وتصرخ : « اليوم يوم عرس حبيب أرقصوا وغنوا يا رفاق حبيب . اليوم يوم عرسه لا يوم دفنه . حبيب يسير إلى عروسه لا إلى قبره » .

وكان منظرها يفتت الأكباد.. ومشى مسعود المير وراء النعش مطرق الرأس كسير الخاطر دامع العين . مصرع ابنه أحنى ظهره والهب قلبه بنار الحزن والشجن ، أما زوجته أم حسيب فلم تستطع ان تواكب الجنازة ، لم تستطع أن ترافق ابنها إلى المقر الأخير . وظلت في الدار بين الاغماء والإفاقة . لا تكاد تستفيق من الاغماء حتى تعود اليه . والتفّت النساء حولها يخففن عنها ويؤاسينها . وكلما فتحت عينيها أدارتهما في الدار وهمست: « حسيب ! أين هو حسيب ؟ أين ابني . أريد أن أراه . أريد ان اودع منه بنظرة . نظرة واحدة » .

وتعود إلى الاغماء الشديد . وفيما موكب الجنازة يسير نحو القبر ، كانت امرأة حسناء تسير بعيداً وهي متشحة بالسواد تبكي وتستغرق في البكاء وتهمس كلمات مؤثرة مؤلمة تودع بها حسيباً . إنها عشيقته الغانية الحسناء التي أحبها حسيب وأحبته بكل ما يستطيع قلب أن يحب ويهوى . كانت الغادة الحسناء تسير غريبة بين أقارب حسيب وأهله تبكي بكاء مراً وهي لا تجرؤ على الدنو من جثة حبيبها لإلقاء نظرة الوداع على من أحبه قلبها وأخلص له الإخلاص الشديد . ولعل حزن تلك البائسة المسكينة التي فجعت بقلبها أبعد واعمق من حزن أهله . لقد خسرت بوفاته الأمل الباسم والحب الزاهر الزاهي .

وأودع حسيب المير الثرى . وعاد الأهل والأقارب والأصدقاء

إلى دورهم ومنازلهم . وظلت هي ، الغادة الحسناء . عشيقة حسيب هناك عند القبر ، وعندما اطمأنت إلى ذهاب الجميع ، عندما علمت انها أصبحت وحيدة قرب ، جثة حسيب ، قرب قبره ارتمت على القبر تبكي وتبلل ترابه الندي بدموعها الغزيرة المدرار ...

وبدأت العاصفة تهدأ في دار مسعود المير وقد ووري حسيب التراب . إلا ان الحزن الشديد ظل مخيماً على تلك الدار . وظل السواد يجلل الدار وأهل الدار . وعادت لمياء إلى الهدوء وراحت تبحث بنظرها بين المعزين الجالسين حولها وحول أمها وأبيها ، كانت تبحث عن فؤاد ، عن حبيبها فؤاد العبلان ، إلا أنها لم تقف له على أثر . لم تجده بين المعزين ولا هي رأت أمه ولا أباه أين هم ؟ لماذا لم يحضروا بعد الدفن وقد كانوا قبل الدفن يحتلون الدار يواسونها ويواسون أمها وأباها ؟ وحانت منها التفاتة فشاهدت سليمان الصقر يجلس كالثعلب متظاهراً بالحزن والأسى . والحزن والأسى بعيدان عنه بعد الأرض عن السماء . وكان سليمان الصقر يجلس قرب ابيها . وكان يهمس في اذنه ، في اذن ابيها بعض الكلمات فلم تأبه له وحولت نظرها عنه لتعود إلى سكب الدموع .

وادركت ان سليمان الصقر يحاول كسب مودة ابيها . وما أخطأ ظنها لقد كان سليمان يقول لمسعود المير :

« خفف عنك أيها السيد مسعود . كلنا سائرون على هذا الطريق إن تكن قد خسرت ابنك فتى اننا كلنا أبناؤك »

ولم يجب مسعود المير بل هو انصرف إلى البكاء بصمت عميق وحرقة وأسى . وانصرف الكثيرون . ولم يبق في دار مسعود المير إلا الأهل والانسباء وسليمان الصقر . لقد أبى سليمان أن يبتعد عن دار مسعود المير وهناك في الدار لمياء حبيبة قلبه ونور عينيه . ولم ينصرف سليمان الصقر من دار مسعود المير إلا والليل قد سار شوطاً بعيداً في الطريق .

كان سليمان آخر من انصرف من تلك الدار الحزين . لقد انصرف في ساعة متأخرة من الليل ، ليعود مع مطلع الصباح عارضاً على مسعود المير خدماته الجلى الكريمة السمحاء . وأقامت لمياء تنتظر حضور فؤاد في اليوم التالي . إلا ان فؤاداً ما أطل ، فبدأ القلق يعصف في قلب لمياء وبدأت الهواجس المشة المقلقة تجتاح افكارها المضطربة الوجلة ... وأبت أن تسأل عنه . ماذا سيقال فيها ان هي سألت عن فؤاد ؟ سيقال : « يا لها من فتاة حمقاء تنسى أخاها لتسأل عن حبيبها » .. لا ، لا . لن تسأل عنه . عليه ان يحضر هو لمواساتها . أيتخلى عنها وهي في مثل تلك الحال من الحزن والألم والدموع ؟

ومضت الساعات الأولى من النهار وفؤاد لم يبن له أثر .

وسمعت والدها عند الظهر يتهامس وسليمان الصقر . ورن في اذنها اسم فؤاد العبلان تطلقه شفتا سليمان فاقتربت منهما لتسمع سليمان يقول : « يا له من نذل سافل مجرم شرير » .

واضطربت . وادركت ان سليمان يعني فؤاداً في مايقول . وكادت ترد عليه وترغمه على السكوت إلا ان ما سمعت من والدها أهاب بها الى الصمت والخوف والاضطراب .

وماذا قال والدها ؟ قال : « ما كنت أحسب ان فؤاداً يقدم على هذه الجريمة . اذا ثبتت التهمة بحقه كان ثعلباً محتالاً قبل ان يكون مجرماً لأنه استطاع أن يخدعنا طيلة هذه المدة التي عاش بها قربنا » .

وازدادت لمياء اضطراباً وهي تسمع سليمان يرد على والدها فيقول : « وهل ثمة شك في أنه هو المجرم . ما دام الخنجر الذي صرع به حبيباً هو خنجر فؤاد العبلان » . قال مسعود المير بألم سحيق : « ولكن فؤاداً لم يعترف حتى الآن » . قال : « وهل ينتظر ان يعترف المجرم بجريمته . وأي قيمة لإنكاره الجريمة النكراء ما دامت الادلة والبراهين كلها تشير إلى ان فؤاداً هو القاتل » .

« وتهادت لمياء وهي تسمع الحديث الدائر بين سليمان الصقر

وبين والدها ، وقد أدركت ان فؤاداً في السجن وانه متهم بقتل اخيها . ووقعت على الارض فاقدة الرشد . فهي لم تستطع ان تحتمل الصدمة العنيفة ، لم تستطع ان تصمد حيال الكارثة الرهيبة . انها بين نارين . ويلها حبيبها فؤاد وويلها شقيقها حسيب .. والف ويل لها من الصدمة العنيفة الرهيبة القاصمة .

الفصل السابع

التحقيق

استمر التحقيق مع فؤاد العبلان ثلاثة ايام وثلاث ليال متواصلة .وتناوب التحقيق معه اثنان من رجال القضاء اللبناني النزيه .

وحاول الاثنان انتزاع السر من قلب فؤاد، حاولا أن ينتزعا منه الاعتراف الصريح إلا ان فؤاداً كان يردد باستمرار : « أنا لم أقتل حسيباً . أنا لم اقتله أنا بريء . أنا بريء » . ولكن الانكار وحده لا يكفي وهناك الخنجر الجزيني المصقول . الخنجر الذي قتل به حسيب . وهو خنجر فؤاد ، وفؤاد نفسه اعترف بأن الخنجر خنجره . والتقرير الطبي ، تقرير الطبيب الذي كشف على جثة القتيل واشرف على تشريحها يثبت ان الموت كان نتيجة

طعنات من خنجر مصقول اخترق شغاف القلب والرئة والإمعاء . كل طعنة من تلك الطعنات كانت كافية لقتل حسيب .

ثم ان فؤاداً لم يستطع ان يثبت مكان وجوده ساعة ارتكاب الجريمة ، الطبيب الشرعي يقول ان الموت وقع بعد منتصف الليل ، في الساعة الثانية أو في الساعة الثالثة من الفجر ، وفؤاد يقول انه كان في سريره ، كان نائماً ووالده يقول ان ابنه كان في الدار وانه دخل إلى غرفته عند منتصف الليل ونام . ولكن امه روعها المصاب وهي امرأة عجوز ليس لها خبرة في مثل هذه الامور تقول :

« لست أدري اين كان فؤاد » .

لقد خشيت الام البائسة ان توقع ولدها ان هي أفادت انه كان في غرفته ، وخافت ان توقعه اذا قالت انه كان خارج الدار ، ورأت ان أقرب الطرق الانكار . انكار معرفة وجود فؤاد فتمتمت :

« لست أدري أين كان فؤاد » . هو يقول كنت في الدار وأمه تقول لست ادري أين كان . وماذا بعد ؟ التهمة ثابتة عليه . لا سيما وطعنات حسيب لا يزال أثرها في صدر فؤاد . من المؤكد ان فؤاداً أراد ان ينتقم من حسيب فكمن له وانهال عليه بالطعن . واضطرب وهو يشاهد حسيباً يقع في الارض مضرجاً بدمه ،

فركن للفرار ، ووقع الخنجر منه فلم ينتبه له . لا سيما وشبح الجريمة الرهيبة كان يطارده ويعذب ضميره ويعمي بصره وبصيرته .

وبدأت الجريمة تلتف حول فؤاد العبلان . وبدأت التهمة تُلصق به ، وبدأت العدالة تتأهب للانقضاض على رأسه . كل ذلك ولمياء تتابع التحقيق بوجل وخوف واضطراب . كانت لمياء متأكدة في اعمق اعماق روحها من براءة فؤاد . كانت تعلم أن فؤاداً لا يقتل . واذا هو قتل ، لا سمح الله ، فهو لا يقتل أخاها ، كانت على يقين من ذلك الا انها لم تكن تستطيع ان تجاهر بما تعتقد .

لم تكن تستطيع ان تقول : « فؤاد بريء » وهناك والدها يميل إلى الاعتقاد بأن ابن العبلان قتل ابنه وهناك العدالة تدينه ، وهناك العداوة بدأت تتأصل مجدداً بين الاسرتين . اسرة العبلان ، وابنها في السجن . واسرة الميّ وابنها في القبر . وكان هناك اخيراً سليمان الصقر ، يوغل قلب والدها على فؤاد ويحمل اليه كل يوم نتائج التحقيق فيهرول اليه ظهر كل يوم حاملاً اليه نتيجة التحقيق .

ونتيجة التحقيق كانت دائماً ضد فؤاد .

وغرقت لمياء في دموعها وآهاتها ولوعاتها . كانت تبكي اخاها

وتبكي حبيبها . لقد خسرت حبيباً وهي ستخسر فؤاداً . يا ويلها يا ويلها... وهالها أن تجد سليمان الصقر يحتل دارهم على الرحب والسعة . فهو في الصباح عندهم ، وفي الظهر عندهم ، وفي المساء عندهم . أنه كالدواء . ثلاث مرات في النهار . في الصباح وفي الظهر وفي المساء... واشتد الحزن بقلب لمياء وهي تشاهد سليمان يتقرب من والدها حتى أنه أضحى صديق والدها الحميم ، وبدأ والدها يثق به ويقربه اليه . وحاول سليمان الصقر التقرب اليها ، حاول اكتساب ودها حاول الحصول على رضاها ، حاول الدخول إلى قلبها فلم يفلح . كانت تنفر منه ، كانت تصده ، كانت كلما دخل إلى دارهم أسرعت بالهرب ، فكأنها كانت تعلم في أعماق نفسها ان المجرم الجاني الذي أوصل أخاها إلى القبر وحبيبها إلى السجن هو هذا الشاب المجرم النذل اللئيم . وبدأت تفكر بالاتصال بفؤاد .

ولاحت لها الفكرة في بادىء الأمر وهماً . لاحت لها خيالاً ، لاحت لها حلماً بعيد المنال . كيف ستتصل به وهو في السجن ؟ وهب انها استطاعت الوصول اليه ، هب انها استطاعت الدخول إلى السجن فهل يحق لها ان تتصل بقاتل أخيها .

أو بالاحرى هل يحق لها أن تتصل بشاب يتهمه القضاء بقتل أخيها ؟ ماذا سيقول الناس عنها اذا علموا أنها زارت فؤاداً في سجنه ؟ ماذا سيقول القضاء فيها ؟ أو بالأحرى ماذا سيفعل

والدها بها وقد وقف على الحقيقة ، لا سيما ووالدها قد بدأ ينظر اليها نظرات الغضب بعد ان تأكد أنها هي السبب في مصرع أخيها حبيب؟ إلا ان تلك الفكرة التي لاحت لها كالخيال بدأت تتجسم في رأسها ، وانقلب الخيال إلى واقع . إلى حقيقة . وعزمت على الاتصال بفؤاد . هي لن تدخل إلى السجن ، لن تكلمه ، لن تراه . ستكتفي الآن بالإتصال بوالد فؤاد ، أو بوالدته فتقف منها على حاله في السجن وتعلم عنه كل شيء ، كل شيء . وارتاحت للفكرة الموفقة .

وانصرفت إلى رسم الخطة . كيف ستتصل بوالدي فؤاد ؟ في دارهما لا ، لا يجوز لها ان تدخل إلى تلك الدار ، تلك الدار أصبحت محرمة عليها ؟ أين إذن ؟ في الطريق ؟لا ، لا ، لا يجوز أن تقف مع والد فؤاد أو مع والدته في الطريق العام ليشاهدها الجميع تتكلم إلى والد أو إلى والدة قاتل أخيها . أين إذن؟ أين؟ وتمكنت من الاجابة على هذا السؤال . ستشاهد احدهما وتتحدث اليه مليا في بستان الليمون . طالما كان هذا البستان مسرحاً للمآسي وللتمثيليات . في البستان كانت تجتمع بفؤاد . وفي البستان دهمها أخوها حبيب مع فؤاد . وفي البستان طعن حبيب فؤاداً ، وفي البستان قتل أخوها حبيب .

وماذا بعد ؟ وتمتمت في سرها : « وفي البستان سأجتمع بوالد فؤاد أو بوالدته وأقف منه أو منها على احوال فؤاد واطمئن

إلى صحته ».

وارتاحت كل الإرتياح للفكرة الموفقة . وأطمأنت . وأقامت ترقب الفرصة السانحة لتنفيذ ما عزمت عليه . وبدأت تخرج صباح كل يوم من الدار إلى البستان . إلى بستانهم . وتسير بين أشجار الليمون إلى آخر البستان . عند السور الفاصل بين بستانهم وبستان ناصر العبلان . ومن خلال أغصان الليمون الخضراء تسترق النظر الى بستان ناصر العبلان باحثة عن ناصر أو عن زوجته . وطال ترددها إلى البستان ، وطال انتظارها دون أن توفق في تحقيق آمالها العذاب .

ومر اليوم الأول وناصر العبلان ما أطل ولا أطلت زوجته . ومر اليوم الثاني ، وما بان لأحدهما أثر . وفي اليوم الثالث فيما كانت لمياء تقطع الأمل من نجاح خطتها المرسومة شاهدت ناصراً العبلان يسير في بستانه على حزن وهم وأسى . وارتجفت وهي تراه يقترب من السور .

وتعالت نبضات قلبها . ويلها ماذا ستفعل ؟ هل تناديه ؟ هل تحيّيه ؟ هل تكلمه ؟ وهب أنها كلمته ، هب أنها حيته ، فهل سيرد عليها ؟ هل سيكلمها والعداوة مضطرمة السعير بينه وبين والدها ؟ ماذا سيقول لها ؟ هل يهينها ؟ هل يسبها ؟ هل يشتمها ؟ ماذا سيقول ؟ بماذا سينطق ؟ بماذا سيتكلم .

وكادت تعود عما عزمت عليه . إلا أنها تشجعت وقد اقترب ناصر العبلان منها . وهمست في سرها : « لا بأس، في سبيل فؤاد يهون كل شيء . ونادته : « يا عمي ناصر ! يا عمي ناصر ! » كانت دائماً تناديه « يا عمي » . وكان فؤاد ينادي والدها « يا عمي » أيضاً ، هذا في الماضي ، قبل ان يقتل أخوها وقبل أن يدخل فؤاد الى السجن ، وقبل ان تندلع نار العداوة على سعير مضطرم بين الاسرتين، بين أسرتها وبين أسرة العبلان .

وسمع ناصر العبلان صوتها المرتجف المضطرب المبحوح فالتفت اليها .

وشاهدها والدموع تغمر عينيها .

وبدأت الدموع تغمر عينيه . واقترب منها .

وهمس بأسى وحزن وألم : «ما بك يا لمياء؟ ما بك يا عمي»؟ وانحدرت الدموع على خديها ، وهمست وقد اصبح ناصر العبلان على مقربة منها : « سامحني يا عمي . أنا السبب في كل ما جرى .

أنا المجرمة . انا ارسلت اخي الى القبر وارسلت فؤاد إلى السجن . لولاي لما حدث ما حدث » فاقترب ناصر العبلان منها والدموع تنسكب على خديه . وامسك بيدها يقول : « لا يا إبنتي لا يا لمياء . لست انت السبب .

فؤاد لم يقتل حسيباً . انا اعرف ابني . ابني لا يجرؤ على قتل عصفور . ابني فؤاد شاب تقي ورع مهذب رصين . أنا أعرفه وانت تعرفينه يا لمياء . هو ليس من زمرة الأشقياء المجرمين . تأكدي يا ابنتي ان فؤاداً بريء وستظهر براءته . انا موقن ببراءته أنا مؤمن بعدالة السماء . سيخرج فؤاد من السجن ناصع الجبين يا لمياء يا ابنتي . هناك مجرم سفاح قتل حسيباً ليرمي بفؤاد في السجن . وقد حبك خيوط الجريمة ورسم خطوطها بكل حنكة ودهاء .

وفاز في الجولة الأولى إلا انه لن يستطيع ان يفوز بالجولة الثانية . اطمئني يا ابنتي اطمئني يا لمياء فؤاد سيعود اليك والينا قريباً ناصع الكف مرفوع الجبين » واجهشت لمياء بالبكاء وهمست في اذن ناصر العبلان : « كيف احواله في السجن ؟ماذا يفعل ؟ كيف يعيش ؟ كيف صحته ؟ هل هو ناقم عليّ . هل يذكرني » ؟ وابتسم ناصر العبلان من خلال دموعه وهمس :

« اطمئني يا ابنتي اطمئني . فؤاد يشتاق اليك ويذكرك ويحبك.وهو يرجو ان تظلي وفية لعهوده ويرجوك الا تسيئي الظن به وان تظلي على ايمانك الثابت الراسخ بنصاعة جبينه » .

قالت :

« ارجوك يا عمي ان تبلغه سلامي وان تقول له « إن لمياء

ستظل وفية لك الى الابد » . واذا بصوت بدوي وراءها كالرعد : « يا مجرمة ! يا شقية ! الا يكفيك ما انزلت بنا من الذل والعذاب والحزن والشقاء والهوان فجئت تمعنين الآن في تمريغ كرامتنا وشرفنا بالوحول ؟ » .

والتفتت الى الوراء لتشاهد والدها واقفاً والغضب يعصف به وقد جحظت عيناه وتقلصت عضلاته وهو يرتجف كورقة في مهب الرياح...وذعرت لمياء وقد ادركت ان والدها سمع حديثها مع ناصر العبلان ، وهو ان لم يكن قد سمع كل الحديث فمن المؤكد انه سمع معظمه .

وفيما ناصر العبلان يتراجع الى الوراء كان مسعود المير يمسك بيد ابنته ويجرها الى الدار ويوصد وراءها الباب لينهال عليها بالضرب والرفس واللطم وهو يعربد ويهدر :

« يا مجرمة . يا كافرة يا شريرة . انت السبب في قتل اخيك. منذ ولادتك حلت لنا المصائب والكوارث والشرور . ليتك لم تولدي ،ليتك مت قبل اخيك اذن لأرحتنا من كل هذه المصائب الجسام » ، وألوت لمياء عنقها تحت لطمات ابيها بدون ان تنبس بحرف .بدون ان تعترض ، وبدون ان تتلفظ بكلمة . فكأنها حمل بين يدي الجزار.ولم يرتد والدها عنها إلا وقد وقعت على الأرض فاقدة الرشد . واسرعت امها اليها .واحتضنتها وراحت

تساعدها على النهوض... وحملتها إلى سريرها وهي تلطم وجهها وتبكي . لقد خسرت ابنها وهي ستخسر ابنتها . يا المصاب الأليم الموجع المخيف .

واقامت لمياء في سريرها على ألم ودمع وشجن . ولم تستطع النهوض من السرير .

المصائب الجسام التي حلت بها افقدتها كل قواها . من مصرع اخيها الى سجن فؤاد الى قساوة ابيها وشدته . وانغمست في صمت رهيب سحيق عميق فلم تكن تكلم احداً ولا هي ترضى بأن تقابل احداً . وكانت ترى الحياة ظلاماً في ظلام . كانت ترى الوجود من خلال الدمع والحزن والشقاء. وتمنت لو ان الله يسترد روحها ويريحها من هذا العبء الثقيل ، تمنت لو انها تموت فتريح وتستريح . الا ان الله لم يمنّ عليها بما تريد . لم ينفجعها بالموت ، بل عز وجل نفجعها بما هو اشد من الموت . فقد دخل والدها ذات صباح الى غرفتها ليجلس على مقعد قريب من السرير ويهدر :

« كيف حالك اليوم ؟ » .

وهمست : « بخير يا والدي ». قال وكأنه يواسيها : « يابنتي الحياة كلها عذاب وبؤس وشقاء. وعلينا ان نحتمل مصائب الحياة وعذابها بكل شجاعة وصبر ورضوخ » فأدركت لمياء ان وراء

هذه المقدمة سراً خفياً . ومسحت دموعها دون ان تنبس بحرف .

وتابع والدها الحديث فقال : « على الفتاة ان تكون نبيهة ذكية . عليها ان تنظر الى بعيد ، الى مستقبلها قبل ان تنظر الى حاضرها . والفتاة الحكيمة الذكية هي تلك التي تزن الحياة بميزان العقل لا بميزان القلب يا لمياء » .

ولم تجب لمياء . بل هي مضت في صمتها العميق السحيق . واكمل والدها : « الزواج هو نهاية طريق أي فتاة .

اذا لم تصل الفتاة الى النهاية فمصيرها مرعب مخيف يا لمياء» وبدأت لمياء تستعد لتلقي الكارثة . بدأت تتأهب لاحتمال المصاب وقد ايقنت ان والدها يحمل لها مصاباً اليماً رهيباً . ونفجعها الوالد بما لديه . وقذفها بالمصاب وهدر : « للمرة الثانية يطلب سليمان الصقر يدك

ان نكن قد رفضنا طلبه في المرة الأولى فليس لنا ان نرفض طلبه الآن بعد ان حدث ما حدث » . ولم تستطع لمياء ان تسيطر على اعصابها وهي تسمع النبأ المخيف . لم تستطع ان تحبس دموعها فانفجرت بالبكاء . واخفت وجهها براحتيها وكأنها تضن بتلك الدموع ان تراها عين .

كأنها تريد ان تخفي دموعها عن الجميع ، حتى عن والدها.

وادرك والدها وهو يراها تستغرق في البكاء ، ادرك انها لا توافق على الزواج من سليمان الصقر ، فنهض من مقعده وتقدم الى سريرها يمسك بيدها ويقول :

« يا ابنتي يا لمياء . علينا ان نكون واقعيين . سأصارحك بكل شيء . اسمعي يا لمياء . اذا انت لم تتزوجي من سليمان الصقر الآن فلن تستطيعي أن تجدي عريساً في المستقبل .

هذه هي الفرصة الوحيدة للنجاة ، للأنقاذ . الكل هنا يعرف قصتك وقصة فؤاد العبلان .الكل يعرف ان فؤادالعبلان كان يحب لمياء ابنة مسعود المير وإن لمياء كانت تبادله الحب وان شقيقها حبيب دهمها مع فؤاد في البستان وطعنه وان فؤاداً انتقم من حبيب وقتله .

قصتنا أصبحت معروفة لدى الجميع، وقد نشرتها الصحف وتحدث عنها الكل . الكل علم انك كنت على علاقة متينة بفؤاد العبلان،وليس ثمة شاب يرضى ان يتزوج من فتاة كانت على علاقة بشاب غيره .

ولو لم يكن سليمان الصقر متدلهاً بهواك لما تقدم طالباًيدك. عليك يا ابنتي ان تغتنمي الفرصة السانحة والفرصة لا تسنح كل آن وحين » ، وصمت مسعود المير بانتظار جواب لمياء الا ان لمياء لم تجب بل هي استغرقت في البكاء الشديد . وعاد مسعود الى الكلام ليقول متسائلاً : « ما هو رأيك النهائي يا لمياء » ؟

وهمست لمياء : « أنا لا اريد الزواج يا والدي . اريد ان اظل هنا خادمة في دارك . رحماك يا والدي رحماك لا تظلمني » وبدأ الغضب يطل من عيني مسعود المير وابنته ترفض الزواج من سليمان الصقر . وهدر : « لقد وعدت سليمان بأن ازفك اليه ولن اتراجع عن وعدي » .

وادركت لمياء أن المصيبة واقعة حتماً . وهي لا تجهل أي عناد يرسخ في رأس والدها . اذا عزم مسعود المير على ان يفعل أمراً فهو لا يتراجع عما عزم عليه . وأيقنت لمياء أن والدها سيزفها إلى سليمان رضيت أم أبت لا سيما وهو يرى في هذا الزواج انقاذاً لسمعته ولكرامته ولشرفه . وعادت إلى الصمت تنغمس فيه وتستسلم لدموعها وأشواقها وآلامها وحنينها . وصح ما توقعته فقد وقف والدها يهم بالخروج ويقول : «سأعلن موافقتنا على زواجك من سليمان الآن وفوراً .

انت منذ الآن . منذ هذه الدقيقة خطيبة سليمان .

هل تفهمين ؟ . ولم تجب ، وخرج والدها على غضب شديد وهو يهدر : « يا لها من فتاة حمقاء بلهاء . يرسل الله النعمة إلى دارها وتأبى أن تغرف من نعمة الله » .

ونفذ مسعود المير ارادته فدعا اليه سليمان الصقر ليقول : سليمان ! لقد وافقنا على طلبك يا ابني . لمياء أضحت خطيبتك

منذ الآن منذ هذه اللحظة وستصبح بعد شهور قليلة زوجتك المصون . لك تهاني الحارة يا ابني يا سليمان .

وكاد سليمان الصقر أن يطير من الفرح . لقد وصل أخيراً إلى الهدف البعيد الذي كان يسعى اليه . أحلامه وأمانيه تحققت . لم تذهب أتعابه أدراج الرياح هذه المرة.لقد تكللت خطته المرسومة بالنجاح الأكيد . الحمد لله ثم الحمد لله . وانكب سليمان على يد مسعود المير يقبلها ويتمتم :« شكراً لك يا سيدي مسعود. شكراً.ستكون لمياء في داري مصانة محروسة . كل أموالي وحياتي في متناول يدها عليها أن تأمر وسليمان الصقر أن يطيع .

وثب سليمان إلى الأسواق يشتري لحبيبته لمياء هدية الخطوبة . ساعة من ذهب ومحبساً من ماس وسواراً مطعماً بالجواهر الكريمة وخاتماً ماسياً سوليتر . لا بأس أن هو أسرف في السخاء الآن ، فهو سيستعيد كل ماله . لمياء ليست بالفتاة الفقيرة . كل ما يملك والدها من مال وعقار سيؤول اليها بعد ان توارى أخوها وراء الضريح . هذا فضلاً عن ان لمياء تستحق كل سخاء وكرم وإسراف .

وحمل الهدية الثمينة وطار إلى لمياء يقدم لها الهدية الرائعة وخيل اليه أن الحلى ستبهر عيني لمياء إلا أنه كان على خطأ . فقد

نظرت لمياء الى تلك الحلى الثمينة نظرة الاستخفاف واللامبالاة . وتمتم سليمان :

« هاتي يدك يا حبيبتي . هاتيها » وكانت المرة الأولى التي يتلفظ فيها بكلمة حبيبتي . وخيل اليه وهو يلفظ هذه الكلمة العذبة أنه امتلك الدنيا بأمرها . خيّل اليه انه يتربع على قمة السعادة العالية الشماء .

وأعطته يدها . لم يكن بوسعها أن ترفض طلبه وهناك والدها جالس قربها يحدجها بنظرات قاسية خشنة . وأغمضت عينيها كي لا ترى سليمان ولا ترى هديته . وتمنت لو أنها تستطيع أن تصفعه وهو يناديها بيا حبيبتي . تمنت لو أنها تقذفه بتلك الحلى والجوهرات وتهرب منه . فهي لا تريد أن تسمع هذه الكلمة . كلمة حبيبتي إلا من شفتي حبيبها فؤاد .

ليس لإنسان أن يناديها يا حبيبتي إلا فؤاد الميلان فؤاد وحده يملك هذا الحق . قلبها وروحها وحياتها فدى فؤاد .

إلا انها اضطرت ان تستسلم لحكم القدر . اضطرت أن تصمت ان تسلم أمرها لله وتتكل عليه . وتناول سليمان الصقر يدها يضع الساعة في معصمها الشمال والسوار في معصمها اليمين والخاتم والمحبس في بنصرها اليمين . وهمس في اذنها : « انني لانتظر ذلك اليوم السعيد البهيج ، يوم الزفاف الميمون بفارغ

صبر . وكم كنت أتمنى أن يكون ذلك اليوم الآن وليس غداً . كم كنت أود لو تختصر الطريق فيكون الزفاف فوراً بدون اللجوء الى الخطوبة . إلا أن والديك رفضا ان يتم الزفاف قبل مضي ستة اشهر على وفاة حبيبنا حسيب . لقد مضى زهاء شهر ولم يبق أمامنا الا خمسة اشهر ، خمسة اشهر فقط وتصبحين زوجة سليمان وتصبح السعادة كل السعادة في متناول يدي » .

ولم تجب لمياء وهمست في سرها : ليت هذه الأشهر الخمسة تمتد الى ثلاث سنوات . ليتها تمتد الى خمسين سنة ، الى الأبد . ورفع سليمان الصقر يدها الى شفتيه وطبع عليها قبلة ملتهبة حمراء . ولم تحس بتلك القبلة . لم تشعر بها . فكأنها نقطة ماء سقطت على تلك اليد . ومضت في التفكير البعيد . يا لها من مجرمة .هي تخطب لسليمان وحبيبها فؤاد يعاني مر الآلام والعذاب في سجنه المظلم الرهيب .

ولكن ، ولكن فؤاداً متهم بقتل أخيها ، فهل يحق لها ان تفكر به بعد أن كان ما كان . من المؤكد ان فؤاداً لم يقتل حسيباً . هي على يقين من ذلك ، هي تعلم في قرارة نفسها أن فؤاداً بريء . ولكن هذا لا يكفي . هي تعلم براءته إلا ان العالم ، الناس ، كلهم لا يعلمون . الكل يخيل اليهم ان فؤاداً قتل أخاها فهل يجوز لها ان تفكر بقاتل اخيها ؟ لا ، وأدركت لمياء أنها واقعة بين نارين . نار قلبها المحرقة ونار عقلها المندلعة

اللهيب المتقدة السعير .

وعاد سليمان الصقر الى الكلام ليقول : « قولي لي يا حبيبتي يا لمياء . اتكونين سعيدة في حبي كسعادتي في حبك » ؟ سعيدة؟ يا لها من كلمة هائلة رهيبة . أي سعادة هي تلك السعادة التي يتكلم عنها سليمان الصقر ؟ أي سعادة تستطيع ان تغمر قلب لمياء المنير وحبيبها فؤاد ملقى في غياهب السجون ؟ وبدأت الدموع تنحدر على خديها . وعلم سليمان الصقر السبب في بكائها .

فالخبيث اللئيم لم يكن يجهل أي عاطفة تختلج في قلب لمياء . كان يعلم ان لمياء تحب فؤاداً وان الحب متأصل في قلبها وأنها تبكي فؤاداً الذي ابتعد عنها .او بالأحرى الذي ابعده هو عنها ليلقي به في أعماق السجون . إلا انه تجاهل السر وتمتم بكل خبث ومكر ودهاء : « أنت تبكين أخاك . اليس كذلك يا حبيبتي ؟

لا بأس أنا سأكون لك زوجاً وأخاً وحبيباً . أحبسي دمعك يا حبيبتي . لا تدعيني أشاهد هذا اللؤلؤ الثمين يتدحرج على خديك الجميلتين . لا يجوز ان تبكي يا حبيبتي وانت في موقف الفرح ، في موقف الخطوبة المفرحة » .

ولم تجب . لم تنبس بحرف ، بل هي مضت في سكب

الدموع الغزيرة الحمراء . وراح سليمان المير يمازحها ويسايرهـا ويروي لها الأخبار المفرحة السارة إلا ان لميـاء لم تعره أذناً صاغية . كان هو في واد . وكانت هي في واد آخر . ونهض سليمان مودعاً . وصافح لمياء هامساً :

« أنا ذاهب الآن إلى داري . وحياتك الى داري ، لن اذهب الليلة الى زيارة الاصدقاء . أريد ان اكون مخلصاً لك . لن أزور أحداً الا بعد ان استأذن منك . ولن تطأ قدمـاي ملهى ولا نادياً ابداً . انا اريد ان اكون خطيباً مثالياً وزوجاً مثالياً » وصافحته بدون ان تجيب . وانتقل الى حميه العقيد مسعود المير يصافحه ، ثم الى زوجته يصافحها ويخرج من الدار والسعادة الوارفة تغمر قلبه وتملأ حناياه . الا ان تلك السعادة لم تكن على صفاء . كانت الجريمة النكراء التي ارتكبها جريمة قتل حسيب المير تعكر عليه صفو سعادته .

كان خيال حسيب ينتصب أبداً أمامه وكان الخنجر الملوث بالدم ، خنجر فؤاد العبلان الذي قتل به حسيباً يلوح له أبـداً مقترباً من عنقه ، عنقه هو ، وهو يقطر دماً . واذا ما آوى الى سريره ليلاً ينتصب شبح الجريمة فوق سريره ليحرمـه لذة النوم وهناءة الرقاد . واذا ما اغمض الكرى عينيه لاحت له الأحلام المزعجة الرهيبة الهائلـة . ويستفيق على رعب وخوف وقلق واضطراب .

لقد قيل ان الجريمة تلاحق المجرم وتطارده وتقوده حتماً إلى الهلاك . الهلاك الجسدي والهلاك الروحي . وجريمة سليمان الصقر كانت تطارده وتلاحقه ، وكان يحاول عبثاً الهرب منها والابتعاد عنها واللجوء الى السكينة والهدوء . وسـار سليمان الصقر في الطريق البعيد الممتد من دار مسعود المير الى عاصمة الشمال الدائمة الاخضرار . وكان عليه ان يمر في بستـان الليمون . وارتجف واضطرب واقشعر وهو يقترب من المكان الذي ارتكب فيه الجريمة . وخيل اليه ان اشجار الليمون المنتصبة في ذلك البستان على رهبة وخشوع أشباحـاً تطارده وتطوقه وتضيق عليه الخناق به .

وكان نسيم الليل العليـل يداعب اوراق الليمون الخضراء فتتهادى بين يديه مرسلة حفيفاً اشبه بالوشوشات . وخيل اليه ، ان ذلك الحفيف همسات الأرواح المحيطة به ، خيل اليه ان تلك الوشوشات أصوات رهيبة آتية اليه من الغيب تقول : « ايها المجرم القاتل الخائن السفاح » واشتد به الخوف وقد وصلت به قدماه الى المكان الذي سقط فيه حسيب قتيلاً . ووقف يحدق في التراب الذي كان لا يزال مصبوغاً بدم ضحيته .

وارتجف وهو يخترق ببصره الظلام .

ظلام الليل الى التراب . هنا ، هنا سقط حسيب . لقد قيل ان روح القتيل تحوم حول مكان الجريمة . اتكون روح حسيب

الميّر لا تزال حائمة في ذلك المكان ؟ من يدري... ولكن لا . مستحيل . الأرواح لا تظل بعد انفصالها عن الجسد على هذه الأرض الفانية بل هي تطير الى هناك ، الى العالم الثاني . الى العالم الخالد الأزلي ، حيث لا موت ولا فناء . من المؤكد ان روح حسيب تستقر الآن هناك هناك هناك ، بعيداً عن بستان الليمون . واستفاق سليمان الصقر من ذهوله فجأة . وتمتم في سره :

« أنا مجنون . مالي ولهذه الافكار السوداء انغمس فيها واتورط في غمراتها . انا الآن سعيد ، لقد ظفرت بما اريد ، ووصلت الى ما اريد . ليس ثمة من يعلم سري . ما هناك سوى اثنين يعلمان السر . سليمان الصقر وحسيب الميّر . حسيب الميّر رحل . لن يستطيع افشاء السر . وسليمان الصقر لن يفشي سر سليمان الصقر...

ولكنه نسي ان هناك من يعلم سره غير سليمان الصقر وحسيب الميّر ، نسي ان هناك تلك القوة الهائلة العظيمة الخالدة ترى كل شيء ، وتلم بكل شيء . فتعاقب المجرم على جريمته وتكافىء المحسن على احسانه. نسي ان الله يراه ويسمعه ويحيط بكل اعماله واقواله وتفكيره . نسي سليمان الصقر هذه الحقيقة الناصعة . وسار وهو يتمتم : « تشجع يا سليمان وسر . لقد تحققت اخيراً امانيك الوارفة العذاب » . ولم يكن يعلم الى اين

يسير . كان يسير دون قصد . وقادته قدماه الى دار عشيقته الحسناء ، الى دار وهيبة رشدان. وقبل ان يصل الى دار وهيبة ، استفاق من ذهوله وتوقف عن المسير وتمتم :

« إلى اين يا سليمان ؟ لا . هذه الدار أصبحت محرمة عليك . ليس لك ان تطأ عتبة بابها . انت خاطب . ويجب ان تخلص لخطيبتك عد . عد من حيث اتيت » .

كان يخاطب نفسه بصوت عال كأنه يخاطب انساناً آخر . وعاد أدراجه . عاد الى المسير دون ان يعلم الى اين يسير . فكأن ثمة قوة خفية تسير به الى حيث تريد هي لا الى حيث يريد هو . وسار في الطريق الى الملهى الليلي . إلى ذلك الملهى الذي اعتاد ان يقضي فيه أكثر لياليه .

الى الملهى الذي تعمل فيه عشيقته وهيبة . ووصل إلى امام الملهى . وهمّ بالدخول إلا انه تراجع الى الوراء وقد تذكر ان وهيبة ستكون هناك وانها ستشاهده وتأتي اليه وتجلس قربه وتشاهد محبس الخطوبة في بنصره وتعلم كل شيء . وهناك الطامة الكبرى . وهمّ بالعودة ادراجه ، واذا بصوت يناديه : « سليمان . ما بك ؟ لماذا تعود ؟ » .

والتفت ليرى صديقه الحميم جميل المندور مقبلاً نحوه في طريقه الى الملهى . وتقدم جميل منه يصافحه ويتمتم : « هكذا

تنسى أصحابك يا سليمان؟ منذ أيام وأنا افتش عنك » وصافحه وتمتم : « والله يا جميل للأقدار أحكام لا نستطيع نقضها . لقد حكمت عليّ الاقدار بالإبتعاد عن الملاهي والنوادي والمقاهي والمواخير » .

قال : « تعال معي ، اريد ان اتحدث اليك » وامسك بيده يريد ان يدخل به الى الملهى إلا ان سليمان الصقر تراجع إلى الوراء هامساً :

« لا ، لا . لا أريد ان ادخل الى هذا الملهى » .

قال جميل :

« لماذا يا سليمان » ؟ قال : لا اريد ان ارى وهيبة » قال جميل : « لماذا يا سليمان ؟ أتكونان على خلاف وإياها » وابتسم سليمان وهمس : « لا . ولكنني لا اريد ان اراها » .

قال : « تعال معي . سأسعى لمصالحتكما » فقال سليمان : « ولكننا لسنا على خصام . أنا لا اريد ان اراها

لقد انتهى كل شيء بيننا » قال جميل : « هكذا دفعة واحدة » ؟ قال مؤيداً : « هكذا دفعة واحدة » قال باستفهام : « لماذا يا سليمان » ؟ قال سليمان : « أتريد ان تعلم لماذا » ؟ قال « أجل . اريد ان أعلم لماذا » . ورفع سليمان يده اليمنى .

واشار الى بنصره فلمع محبس الخطوبة تحت الأنوار المتسربة من نوافذ الملهى الزجاجية . وصفر جميل المندور صفرة طويلة وهمس : « ما هذا يا سليمان ؟ ما هذا يا لعين؟.. مبروك مبروك مبروك يا اخي سليمان ، تعال اخبرني يا خبيث من هي العروس المحظوظة ؟ » .

وهمس سليمان :

« تعال نبتعد عن هذا الملهى كي استطيع ان احـــدثك بكل شيء » .

قال جميل : « تعال » وسارا . سارا إلى ملهى آخر بعيد عن ذلك الملهى . ودخلا . وجلسا حول طاولة منزوية بعيدة عن الضجة والموسيقى والرقص والغناء . وصفق سليمان فأقبل الخادم ينحني امامه ويتمتم : « بماذا يأمر سيدي » ؟

قال : « هات زجاجة عرق » . وجاء الخادم بما طلب فصب كأسين . كأساً له وكأساً لصديقه الحميم جميل .

ورفع جميل كأسه يقرعها بكأس سليمان ويتمتم :

« انني أشرب نخب خطوبتك المباركة وخطيبتك المصون » وشربا... والتفت جميل الى سليمان يقول بتساؤل : « والآن ، أخبرني من هي الخطيبة » . وابتسم سليمان وهمس : « هي لمياء

المير » واطلت الدهشة من عيني جميل المندور . وتمتم :

« لمياء ! وهل وافقت على طلبك » ؟ قال : « ألم تسمع بما حدث » ؟ قال : « سمعت ؟ حبيبها فؤاد العبلان قتل أخاها » . فرفع سليمان الصقر كأسه يجرع كل ما فيها من الخمر دفعة واحدة ويتمتم : « لقد تطوعت الأقدار لخدمتي . لقد كان فؤاد العبلان العقبة الوحيدة في سبيلي فأزاحته الأقدار من السبيل . ما



ان دخل فؤاد إلى السجن حتى دخلت أنا إلى دار لمياء ، ومن دارها وصلت الى قلبها » .

وصمت جميل المندور برهة . وانغمس في تفكير عميق . والتفت الى سليمان بعد تفكير قصير ليقول :

« قل لي ، هل ان قاتل حبيب المير هو فؤاد العبلان » ؟ وأدرك سليمان ما يجول برأس صديقه جميل ، فهو يحاول ان يقوده إلى الاعتراف بجريمته . مسكين جميل المندور .

أيخيل اليه ان الاعتراف أمر سهل لدى سليمان الصقر ؟ إن هو فكر بهذا كان على ضلال . لقد قيل إن كل سر جاوز الاثنين شاع .

وسليمان الصقر لن يسمح بأن يجاوز سره « الواحد » فقط لا الاثنين ، ولن يعلم أحد السر . هذا السر ... هذا السر سيدفن معه في القبر... وتمتم سليمان :

« من المؤكد أن فؤاداً العبلان هو قاتل حبيب المير . لقد وجدوا خنجر فؤاد قرب جثة حبيب » . وابتسم جميل المندور ابتسامة المكر والخبث والدهاء وتمتم : « الا يجوز أن يكون الخنجر، خنجر فؤاد ويكون القاتل غير فؤاد » ؟

قال سليمان : « مستحيل . فؤاد هو القاتل » .

ومضى جميل المندور في الابتسام وهمس: « قل لي يا سليمان. ألم تقتل حسيباً المير لتلقي بفؤاد العبلاني في السجن وتظفر بلمياء » ؟

وتمتم سليمان بكل وقار :

« وأنت أيضاً تشك بي يا جميل ؟ لماذا أقتل حسيباً ولا أقتل فؤاداً . ولو أردت الظفر بلمياء عن طريق القتل لاختصرت وقتلت فؤاداً .. أنت تعلم يا جميل انني كنت أرسم معك خطة اختطاف لمياء . كنت أريد ان أختطفها . اريد أن أظفر بها بدون أن الطخ يدي بالدم . أنا لست من أنصار إزهاق الأرواح . وما دمت قادراً على الوصول إلى مآربي بدون أن ارتكب جريمة فلماذا ارتكاب الجريمة » ؟

وصمت جميل المندور وقد أدرك ان سليمان الصقر لن يبوح بما في قلبه من أسرار . ورفع كأسه يقرعها من جديداً بكأس سليمان ويقول:

« إشرب اشرب. هنيئاً لك الحسن والجمال في لمياء و..والمال». وشرب سليمان وهو يبتسم ويتمتم : « لا تخف لن أتخلى عنك . سيكون لك من مال العروس نصيب وافر يا أخي جميل . مالي هو مالك وثروتي ستكون ثروتك . لن يفرق بيننا المال

والذهب » .

وارتاح جميل المندور وصديقه الحميم سليمان الصقر يعده بالوفاء والبقاء على صداقته المتينة الأركان . سليمان سيصبح غنياً بعد أن يتزوج من لمياء .

وجميل المندور بحاجة قصوى إلى مصادقة الأغنياء .

الفصل الثامن

الراقصة وهيبة

وهيبة رشدان عشيقة سليمان الصقر على قلق واضطراب . منذ أسبوع وعشيقها لم يبن له أثر . فلا هو يحضر الى الملهى الليلي الذي تعمل فيه .

ولا هو يزورها في دارها . ولا يسأل عنها . وكان من عادته أن يزورها كل يوم في دارها ويشخص إلى الملهى الليلي ليراها ليلاً ، وإذا ما انتصف الليل ومال نحو الفجر سار برفقتها إلى دارها حيث يقضي ما بقي من لهاث الليل الأخير بين ذراعيها . لم يكن سليمان الصقر ليطيق بعاداً عنها فما باله الآن يمعن في النوى ويستغرق في الصد والنفور ؟ وانصرفت وهيبة رشدان

إلى البحث عن حبيبها . واتجهت إلى بعض اصدقائه تسأل عنه ، فلم يكن ثمة بين الأصدقاء من يعرف عنه شيئاً . ليس ثمة من يراه ولا من يشاهده ولا من يسمع بأخباره . ووصل بها البحث إلى صديقه جميل المندور ، فقد شاهدت جميلاً ذات ليلة يجلس في المقهى الذي تعمل فيه وحده في زاوية مغمورة بالنور الأحمر الواهي الضئيل . وشخصت اليه . وشاهدها جميل المندور تقترب منه فوقف يبتسم لها ويتمتم :

« أهلا وسهلا بوهيبة - أهلا بالحسن واللطف والجمال » . وبادلته وهيبة الابتسامة بمثلها .

ومدت له يدها تصافحه بدلال وغنج وهي التي تتقن الغنج والدلال . وصافحها ودعاها للجلوس فجلست قربه والابتسامة لا تفارق شفتيها العذبتين . ورأت ان تثب إلى ما تريد رأساً دون مقدمات فتمتمت :

« أين هو صديقك العزيز سليمان يا جميل » ؟ وابتسم جميل ابتسامة طافحة بالمكر والخبث والدهاء وهمس : « إذن من أجل هذا ، من أجل السؤال عن سليمان جئت لتجالسين معي » ؟

قالت : « الحقيقة يا جميل انني قلقة الخاطر على سليمان . منذ أسبوع لم أر له وجهاً . يخيل الي أنه في خطر » . قال والابتسامة لا تفارق شفتيه :

« خطر ؟ وأي خطر يستطيع ان يدنو من سليمان الصقر ؟
« قالت : « قد يكون مريضاً قد يكون حزيناً ، قد يكون في حال مؤسفة مؤلمة دامية ، قد يكون بحاجة الي، إلى مساعدة».

قال بهزء : « اطمئني اطمئني.سليمان بألف ألف خير »
قالت باستفهام : « هل رأيته ؟ هل تعرف أين هو » ؟ قال : « رأيته وأعرف أين هو » .

فاقتربت منه تقول : « أين هو » ؟

فأمسك بيدها يقول : « وهيبة . أنت عندي في مقام الصديقة المخلصة الوفية ، منذ أمد بعيد وأنا اريد ان أتحفك بنصيحة . نصيحة صديق لصديقته» فاضطربت وهيبة . لا سيما وهي لا تجهل ما يضمر لها جميل . لقد كان جميل يطمع بهواها منذ أمد بعيد . كان يريد ان يثب إلى قلبها . يريد ان تكون حبيبته ، ان تكون عشيقته، وكانت هي تميل اليه إلا ان سليمان الصقر سبقه الى قلبها واستطاع ان ينزل فيه على الرحب والسعة. وتورطت في هوى سليمان. وأحبته، وأحبها وتناست جميلا وابتعدت عنه .

واحترم جميل صداقته لسليمان فتناسى وهيبة. وانصرف عنها الى غيرها من الغواني اللواتي يحتللن الملاهي الليلية على الرحب والسلام . وخيل لوهيبة ان جميلا يريد أن يوقع بينها وبين

سليمان وهي تسمعه يهمس: « أريد ان أتحفك بنصيحة . نصيحة صديق لصديقته فهمست بسؤال :

« ما هي نصيحتك يا جميل ؟ ما هي ؟ » قال : « عليك أن تنسي سليمان » فاضطربت،وعصف القلق الشديد بها.وتمتمت : « لماذا يا جميل ؟ » قال : « لأن سليمان لم يعد لك » . واشتد القلق بها . واحست بأنها على نار وجمر . وتمتمت : « لمن هو إذن إذا لم يكن لي » ؟ .

فعاد جميل يمسك بيدها ويتمتم : « اسمعي ما أقوله لك يا وهيبة ان سليمان الصقر غدر بك وخدعك وطعنك في الظهر ونأى عنك » ، قالت بخوف شديد :

« ماذا تقول يا جميل ؟ ماذا تقول ؟ ».قال : أقول الحقيقة يا وهيبة . كل الحقيقة . سليمان الصقر خطب» فاطلقت وهيبة رشدان صرخة تحطمت على شفتيها.وهمست بألم : « مستحيل . مستحيل » . فشدت أصابعه يدها البضة البيضاء، وتمتم : « هذه هي الحقيقة يا وهيبة الحقيقة الناصعة البياض . سليمان خطب ، وهو سيتزوج بعد اسابيع قليلة . ما لك وله . يجب ان تنسيه عليك الا تفكري به بعد اليوم .

ما لك وله . أنسيه أنسيه ».فتراخت عزائمها و كلمات جميل المندور تقع في أذنيها.وانطلقت من بين شفتيها همهمة :

«لا ، لا، لا، سليمان الصقر لم يخطب وهو لن يتزوج . مستحيل مستحيل يا جميل» . فأسف جميل لما يغمر روحها من ألم يطل من عينيها،وندم على صراحته . صراحته أدمت فؤادها . ما له ولها لماذا يمعن في تعذيبها ؟لماذا يؤلم روحها؟ كان عليه أن يكتم عنها الخبر .

كان عليه ان يحول بينها وبين السر الدفين . إذا كان لا بد لها من معرفة الخبر فلتعرف الخبر عن غير طريقه . إلا أنه ،وقد تورط معها .

لم يعد باستطاعته التراجع ، لم يعد بإمكانه الإنكار . ما وقع قد وقع وما تم قد تم .

لقد اطلعها على السر وعليه الآن أن يعمل على مؤاساتها وعلى التخفيف عنها . وهمس: «وهيبة. أنا لم أكن اريد ان احمل اليك هذا النبأ المؤلم ، لم أكن أريد أن تقفي على الحقيقة وفي وقوفك على الحقيقة الألم والدمع والشجن .

الا ان حرصي على مستقبلك ورغبتي الصادقة الأكيدة في إنقاذك من الوحدة المظلمة العميقة الغور التي ألقيت بنفسك فيها كل هذه الامور دفعتني الى رفع الغشاوة عن عينيك واطلاعك على الحقيقة الناصعة البياض» .

فأمسكت وهيبة رشدان بيده تشدها وتقول بتوسل ورجاء: «بحقك يا جميل ، انني استحلفك بحياتك ، بنور عينيك ، بالعزيز العزيز على قلبك استحلفك ان توضح لي الحقيقة .

قل لي كل شيء، كل شيء، يا جميل» .

قال جميل وقد شجعته على البوح بما يطوي في قلبه من اسرار : «سليمان الصقر كان منذ أمد بعيد يحب الآنسة لمياء ابنة مسعود الجابر . وكان يريد ان يختطفها ويطير بها إلى اعالي الجبال ورغمها على الزواج منه الا ان الأقدار أرادت ان تقدم له يد المساعدة ، وإرادة الاقدار غريبة عجيبة لا يدرك كنهها البشر ولا يعرفون اسرارها، فانبرت تفرق بين لمياء وبين حبيبها فؤاد العبلان .

فألقت بفؤاد في السجن بعد ان اتهم بقتل اخيها والقت بلمياء بين ذراعي سليمان الصقر . وتقدم سليمان طالبا يد لمياء فوافق اهلها على الطلب وعقدت الخطوبة منذ ايام قليلة، واقام سليمان ينتظر موعد العرس بفارغ صبر ونفاذ أمل» .

وتذكرت وهيبة رشدان ما سمعت من حديث دار بين جميل وسليمان منذ زهاء شهر عندما جلسا في الملهى يتحدثان في أمر اختطاف فتاة وتمتمت :

« إذن الفتاة التي كنتما تريدان اختطافها كانت لمياء المبز » ؟ قال : « أجل » . قالت : « وكان سليمان يحبها » ؟

قال :

« كان وما زال وسيظل يحبها حباً هائلا رهيباً عنيفـــاً » ، قالت : « أريد ان اراه . اريد ان اراه يا جميل. اريد ان أقف منه على الحقيقة . أريد ان أسمع منه الاعـــتراف . ارجوك يا جميل أرجوك ان تمهد لي سبيل الاجتماع به » . قال : « كرامتك تمنعك عن الاجتماع بالخائن المجرم الذليل يا وهيبة » .

فتدحرجت الدموع غزيرة على وجنتيهـــا وهمست بألم : « لقد بنيت عليه كل آمالي وأحلامي الوارفة . سليمان الصقر كان عندي الأمل الزاهر الزاهي الجميل . كان النور الذي استضيء به . كان حياتي ، كان نور عيني . كنت آمل ان يطل عليّ يوم أترك فيه العمل المضني الشاق في الملاهي الليلية وفي النوادي والمواخير وانتقل إلى حياة أخرى ، إلى دار سليمان فأعيش معه في داره زوجة مخلصة وفية كما تعيش النساء المخلصات الوفيات . هذا ما كنت أحلم به يا جميل فإذا ما تحطم حلمي إذا ما انقضى الأمل إذا صح ما تنقله إليّ فأنا لن أعيش دقيقة واحدة .. » وأكبر جميل المندور فيها هذه العاطفة وهمس :

« وهيبة . ليس ثمة في الحياة ما يستحق الموت . آمالنـــا

كالضباب كالغمام ، تتلبد ثم تنقشع ، تظهر ثم تختفي . ليس لنا أن نتحكم بها ولا ان نجمعها ونقبض عليهـــا بأيدينا . هـــل تستطيعين ان تقبضي على الغمام يا وهيبة ؟ .

هل تستطيعين ان تمسكي بالضباب ؟ . لا . نحن لا نستطيـــع ان نلمس الضباب ولا أن نقبض على الغمام . ولا نستطيع ان نجمع أحلامنا ولا أن نحصي أمانينا . لقد قيل : « ما كل مـــا يتمنى المرء يدركه » . وقيل : « الاماني كالرياح تهب حينـــاً وتتوارى أحيانا » . أما أنا فأقول لـــك يا وهيبة ان الأماني والأحلام ، هباء لا أكثر ولا أقل » .

وبكت وهيبة رشدان وهمست : « أريد أن أراه . أريد أن اراه » .

قال : « لماذا ؟ كي تبكي امامه ؟ كي تقبلي يديه ؟ كي تستعطفيه وتسترحميه وتسترضيه ؟ قلت لك واعيد القول : « كرامتك أولاً يا وهيبة » . لقد خسرت معركة الحب فــلا تسعي الى خسارة معركة الكرامة » .

قالت : « لا . أنا لا اريد ان استرضيه ولا اريد ان أستعطفه . كل ما اريد منه هو أن أتأكد من صحة النبأ الذي حملته إليّ » . قال : « لك الخيار في ان تقابليه أو في أن لا تقابليه . عليّ أن أنصحك ولك ان تقبلي النصيحة أو أن ترفضيها . كانت النصيحة

فيما مضى يجمل وأنا الآن أسديك النصيحة مجاناً لوجه الله الكريم » .

فمسحت وهيبة رشدان دموعهـا بمنديلها الحريري المعطر وهمست : « أرجوك يا جميل ان ترشدني اليه . أين استطيع أن أراه ؟ أين أجده ؟ أين » ؟ .

قال :

« الا تعرفين أين تقع داره » ؟ قالت :

« أعرف الا انه لا يحضر الى داره . قصدت إلى داره فإذا بها موصدة الأبواب والنوافذ »..قـال : « الحقيقة هي انه لا يحضر إلى داره إلا في ساعة متأخرة من الليل . فهو أبداً قرب خطيبته الحسناء . لا يكاد يفارق دارها »... فسادت نار الغيرة العمياء الى الاندلاع في قلبها الهائم الموجع الحزين والقت نظرة مريعة الى الساعة المشدودة في معصمها وهمست : « الساعة الآن تشير الى منتصف الليل . أتراه عاد الى داره الآن » ؟ .

قال : « يخيل إلي أنه عاد . اذا شخصت الى داره الآن قد تجدينه فيها » . فنهضت ورمت باللفافة الى الأرض وداستها بحذائها على غضب وثورة ونزق وتمتمت : « انني شاخصة اليه الآن »... وسارت . سارت دون ان تلتفت الى أحد من الزبائن

الكرام الذين كانوا يرمقونها بنظرات الحب والهوى والأعجاب .

وخرجت من الملهى لتستقل سيارة وتقول لسائقها : « أسرع بي الى محلة التبانة » . وطارت السيارة بها الى حيث طلبت ، إلى محلة التبانة . وهناك في تلك المحلة ترجلت وهيبة رشدان من السيارة واتجهت نحو دار صغيرة متواضعة خجول . وصعدت سلالم قليلة لتقف أمام باب لا يختلف عن تلك الدار تواضعاً وانكساراً . وطرقت البـاب . ووقفت تنتظر بصبر نافذ وثورة لاهبة .

ولم يطل انتظارها . فقد فتح البـاب وأطل منه سليمان الصقر .. وذعر سليمان وعيناه تقعان على عشيقته وهيبة ، إلا أنه استطاع ان يخفي ذعره واضطرابه وراء ابتسامة واهية نحيلة صفراء ، وهمس :

« من ؟ وهيبة ؟ » .

ولم تجب ، بل هي اقتحمت الباب واتجهت تواً الى غرفة النوم . ووهيبة لا تجهل تلك الدار الصغيرة ، ولا تضيع عن غرفة النوم وليس في تلك الدار سوى غرفتين . غرفة النوم وغرفة للاستقبـال . وليس في الغرفتين من الرياش والأثاث الا المتواضع الحقير القديم العهد ..

ولحق سليمان بها وهو يحسب لهـذه الزيارة المفاجئة الف

حساب وحساب . وجلست وهيبة رشدان على السرير. وفتحت محفظتها تخرج منها علبة التبغ وتشعل لفافة . وجلس سليمان قربها ليقول باضطراب : « أهلا وسهلا بوهيبة . زيارتك أثلجت قلبي يا وهيبة » .

فنظرت اليه نظرة طويلة تخفي وراءها الهزء والمكر والسخرية وهمست كلمة ، كلمة واحدة : « صحيح ؟ » . وتمتم : « أجل صحيح يا وهيبة . الحقيقة هي انني في اشتياق اليك يا حبيبتي » . ونظرت وهيبة الى بنصره فلمع المحبس الذهبي في بنصر سليمان . وانفجرت . لم تستطع ان تشاهد المحبس في بنصر عشيقها ، منظر ذلك المحبس أثارها وذهب بما بقي من رصانتها ووقارها . وهدرت : « ما هذا ؟ ما هذا يا سليمان » وأدرك سليمان الخطأ الذي وقع به . أدرك ذلك بعد فوات الأوان ، كان عليه ان ينتزع المحبس من بنصره عندما شاهد وهيبة تدخل الى داره . لقد وقع في الغلط و « غلطة الشاطر بألف غلطة » ...

وعاد سليمان الى الابتسام محاولاً أن يخفي وراءه الاضطراب النازل به . ولم يجب بحرف . لم يتمكن ان يجيب بحرف . كان يفتش عن عذر يفحم به عشيقته الحسناء . ماذا سيقول لها ؟ هل يقول لها هذا هو محبس الخطوبة؟ اذا قال لها ذلك فهي ستسأله: « من هي الخطيبة ؟ » .

ماذا سيقول لها اذن ؟ ماذا ؟ ماذا » ؟.. وأدركت وهيبة

بثاقب بصيرتها أن عشيقها واقع في مأزق حرج ، أدركت انه يفتش عن عذر يختبىء وراءه فأرادت ان تقطع عليه الطريق ، أرادت ان تحول بينه وبين اختلاق كذبة يبرر بها موقفه فهدرت بغضب ودهاء : « مبروك أيها السيد سليمان . مبروك » واقترب سليمان الصقر منها هامساً :

الحقيقة يا وهيبة هي انني .. » وقاطعته بثورة جامحة : « هي انك ماذا ؟ هي انك خطبت . أليس كذلك ؟ هي انك طعنتني في الظهر ؟ هي انك خدعتني . غررت بي ثم طرحتني ارضاً لا شذا ولا أريج ولا عبير » . قال وهو يحاول تبرير موقفه: « انت على خطأ يا حبيبتي أنت على خطأ » . إلا انها لم تأبه له . بل هي نفثت دخان لفافتها في وجهه وتمتمت : « لا يا سيدي . أنا لست على خطأ . اخبارك السارة وصلت الي . لم يخفَ شيء منها . انت خطبت . خطبت . خطبت لمياء ابنة مسعود المبر :

أنا اعرف كل شيء ، كل شيء » .

فاشتد الذعر به وقد ادرك انها واقفة على السر الدفين ، لم يعد باستطاعته التمويه ، لم يعد بإمكانه الإنكار . لقد وقفت وهيبة على كل شيء وشاهدت المحبس في بنصره ، وجابهته بالبراهين الساطعة القاطعة . عليه ان يكون حازماً . عليه ان يعمل على التخلص من هذه الورطة لم يعد ثمة مجال للانكار .

هو لا يستطيع أن ينكر . عليه أن يعترف بالحقيقة لعل الاعتراف يخفف من وطأة الجرم ».

وأمسك بيدها إلا أنها سحبت يدها من يده بغضب وتمتمت: « لا تلمسني . لا تمد يدك القذرة إلى يدي . ابتعد عني ابتعد عني أيها الخائن النذل الحقير ».

قال باستعطاف : « وهيبة . أنت لم تفهميني . أنت لم تقفي على الحقيقة كلها . لقد وقفتِ على نصف الحقيقة . دعيني أطلعك على النصف الآخر ، النصف الذي ظل بعيداً عنك ».

فعادت إلى نفث دخان لفافتها في وجهه وهمست : « هات . قل . اخترع كذبة جديدة . ماذا تريد أن تقول . قل . تفضل أيها السيد سليمان » . قال : « أنت تعلمين يا وهيبة أنني واقع في ضيق مالي . أنا بحاجة إلى المال . بحثت عنه فلم أجده . لم أجد ما أستطيع أن أسد به فقري . وأخذت أبحث عن المال ، بحثت كثيراً . وأخيراً وقعت عليه في دار مسعود المير ». فأطلقت الغانية الحسناء ضحكة هازئة وتمتمت بتساؤل : « أتكون وقعت في دار مسعود المير على المال أم على الجمال ؟ ».

قال : « لا يا وهيبة أنا لم أقع في دار مسعود المير سوى على المال ولم أكن أبحث سوى عن المال . المال وحده هو ما أردت . لقد خطبت ابنته طمعاً في مالها . لا أكثر ولا أقل ».

فمضت وهيبة في إطلاق ابتساماتها الهازئة وتمتمت : « صحيح ؟ » قال : « وحياتك صحيح . ليس ثمة جمال في عيني إلا جمالك يا حبيبتي وليس هناك هوى في قلبي إلا هواك . أنت حبيبتي وروحي وقلبي ونور عيني » واقترب منها محاولاً تقبيلها إلا أنها دفعته عنها وتمتمت « أتكون بحاجة إلى المال ؟ »

قال : « أجل ».

قالت : « هل طلبتَ مني يوماً مالاً ولم أعطك ؟ » فتلعثم ولم يستطع أن يفحمها بجواب .

وعادت إلى الكلام لتقول : « أجب . لماذا لا تجيب ؟ » قال : « لا يا وهيبة . لقد كنتِ دائماً مثال الحبيبة السخية الكريمة الأنوف ولكنني بتُّ أخجل منك وأنا أرهقك بمطالبي . أنت لست مجبرة على العمل المضني الشاق لتنفقي عليّ . لقد أخذت منك الكثير ولن أطلب منك ليرة واحدة بعد اليوم ».

وفتحت محفظتها تخرج منها دفتر الحوالات وتقول : « إذا كان ما تدعي صحيحاً . إذا كنت تريد من دار مسعود المير المال لا الجمال فبرهن لي عن ذلك . هذا هو المال الذي تريد . لدي في المصرف اللبناني خمسون ألف ليرة جمعتها بعرق الجبين وبدموع العين . إني أهبك إياها . كلها . شرط أن تتخلى عن لمياء المير .

هل توافق ؟ » فأحرجته . ماذا سيقول لها ؟ هل يرضى ؟ لا ، لن يرضى . لن يبيع لمياء بخمسين ألف ليرة ولمياء تساوي لديه الملايين لا الألوف . هذا فضلاً عن أن لمياء ستحمل اليه أكثر من هذا المبلغ الضخم . كل ما يملك والدها من مال وعقار وبساتين سينتقل اليها ومنها ينتقل اليه بعد أن يصبح زوجها الحبيب . هل هو مجنون ليبيع لمياء وحب لمياء وثروة لمياء الضخمة بخمسين ألف ليرة ؟

وصمت سليمان الصقر ، واستغرق في الصمت . وهمست وهيبة بألم : « قل ، أتريد أن أوقع لك تحويلاً بخمسين ألف ليرة الآن وترمي بهذا الحبس من بنصرك وتسير معي ؟ » وكان سليمان الصقر يريد مخلصاً أن يظفر بالآلاف الخمسين . كان يفكر في أن يأخذ التحويل . ويعد ولا يفي . إلا أنه خشي سوء العاقبة وهو لا يجهل أي امرأة حاذقة ماكرة هي وهيبة رشدان . وهيبة ليست من البلاهة إلى حد تعطيه فيه خمسين ألف ليرة دون قيد ولا شرط . من المؤكد أنها ستكبله بالقيود إن هي جادت عليه بمالها . وطال الصمت بينهما . هي جالسة تحمل بيدها دفتر الحوالات وهو جالس قربها مطرق الرأس يفكر ويدخن .

وتمتمت وهيبة بعد صمت طويل : « تكلم . لماذا لا تتكلم . على ماذا عوّلت ؟ » قال وقد نفث دخان لفافته في الفضاء : « الحقيقة يا وهيبة هي أنني لا أستطيع التراجع عن وعد

قطعته .

أنا لست من النذالة إلى هذا الحد . لا أستطيع أن أرمي لمياء المير بالذل والهوان . ماذا سيقول الناس فيها وقد هجرها خطيبها ؟ أنا رجل شهم والشهامة تفرض عليّ تنفيذ ما وعدت به » .

قالت : « هذا يعني أنك ستتزوج منها » .

قال : « بكل أسف أجل . ليس لأنني أحبها وقلبي لم يخفق بحب امرأة إلا بحب وهيبة رشدان ، بل لسببين. الأول من أجل مالها . والثاني من أجل سمعتها » .

فقهقهت وهيبة قهقهة الهزء والسخرية وهدرت : « إنك لأبله مجنون. أيخيل إليك أنني لا أعرف الحقيقة ؟ لا . أنت على ضلال إن تكن قد فكرت بهذا . أنا أعرف كل شيء كل شيء كل شيء . هل تعرف ماذا يعني كل شيء » فخاف سليمان الصقر واضطرب . أتكون وهيبة واقفة حقاً على كل شيء ؟ على الجريمة التي ارتكبها ؟ جريمة قتل حبيب المير شقيق لمياء ؟ إن تكن فعلاً واقفة على تفاصيل الجريمة فهو لن يدعها تخرج حية من داره .. وهمس باستفهام : «ما هذا « الكل شيء » الذي تعرفينه يا وهيبة ؟ »

قالت : « أنت تحب لمياء .. تحبها منذ أمد بعيد . طلبت

يدها مرتين . في المرة الاولى لم توافق فعزمت على اختطافها .

كنت تريد ان تختطفهـا بمساعدة صديقك الحميم جميل المندور . انا سمعت حديثكما وأنتما تحدثان في الملهى وترسمان الخطة ، خطة اختطاف الفتاة . وقد جرى بيني وبينك يومذاك عتاب شديد فادّعيت بأن الفتاة التي تريدان اختطافهـا هي خطيبة جميـل وليس لك في مؤامرة الاختطاف لا ناقة ولا جمل » .

فارتاح سليمان الصقر قليـلاً ووهيبة رشدان تطلعه على ما وصل اليهـا من اسرار . وهمس في سره : « الحمد لله . فهي لا تعرف شيئاً وقد خيّل إلي انها تعرف كل شيء . جهلها أنقذها من الموت . لو انها وقفت على تفاصيل الجريمة لما قدر لها ان تخرج حية من هذه الدار . .

وابتسم سليمان ونفث دخـان اللفافـة في الفضاء . وهمس : « انت على ضلال يا وهيبة . انا لم اكن احب لمياء . ولم اطلب يدها . الذي كان يحبها يومذاك هو جميل المندور إلا أنني ، وقد لمست في الزواج منها صفقة رابحة وثبت اليهـا انتزعها من جميل وأستأثر بهـا » قالت بحزم : « أنا لا تهمني التفاصيل ، تفاصيل وصولك إلى دار مسعود الميرِ. لا يهمني ان اعرف كيف استطعت ان تخطب لمياء . كل ما يهمني الآن هو ان اعرف : « هل تريد ان تتخلى عنها ام لا ؟ » .

فأدرك سليمان الصقر ان الموقف حاسم لا يقبـل الجدل ولا يرضخ للمساومـة . أدرك ان عليه ان يجيب بكلمة واحدة . كلمة واحدة فقط . نعم او لا . .

واحتار في امره . بماذا يجيب ؟ ماذا يقول لهـا ؟ هل يقول لها نعم ؟ هل يقول لهـا لا ؟ وعـادت وهيبة الى الكلام لتقول بجزم وعزم : « قل . قل . عليك ان تختار . إما انا . او هي » ورأى ان يضع حداً لهذا الجدل . رأى ان يكون صريحاً . ان يقطع عليها الطريق فتمتم : « الحقيقة يا وهيبة هي انني اريد ان استقر . اريد ان اتزوج من لمياء وأبتعد عن حياة الليل الصاخبة العاصفة المضطربة، يبدو ان الله لا يريد لنا المضي في السير معاً . لك طريقك تسيرين فيه ولي طريقي » . ودهشت وهيبة رشدان لهذه الصراحة يصفعها بها .

وانفجرت غاضبة ، وزأرت : « ستندم يا سليمان . وهيبة رشدان ليست دمية تلعب بها ساعة تريد وترميها وتحطمها ساعة تريد .

لن أدعك تهزأ بي ، لن أدعك تضحك مني . انا اعرف كيف انتقم منك يا كافر يا لئيم » . وعاد سليمان الصقر الى الاقتراب منها محاولاً تهدئة ثورتها الجامحة . وأمسك بيدها الا انها افلتت يدها من يده وابتعدت عنه . ولحق بها محاولاً تقبيلها وقد خيل

اليه ان قبلته الملتهبة ستعيد اليها الرصانة والهدوء إلا انها رفعت يدها لتنهال عليه بالصفع وهي تهدر : « مجرم ، نذل ، لئيم ، حقير . »

وآلمته الصفعة فتراجع الى الوراء . ولم تكتف وهيبة بالصفعة المؤلمة ، بل هي وثبت اليه تبصق في وجهه وتهدر : « سادوس رأسك بحذائي ايها النذل . سأجعل منك عبرة لكل خائن مجرم شرير » . وثار وعشيقته السابقة تثوب وتضرب وتبصق . وأمسك بها محاولاً صفعها إلا انها استطاعت ان تفلت منه . وراحت تمطره بوابل من الشتائم الشتائم التي تتقنها بنات الليل

وعاد الى الوثوب اليها فأمسك بيدها وجرها الى الباب . ورفسها بغضب وثورة وهدر :

« اخرجي من هنا ايتها الساقطة . اخرجي قبل ان احطم رأسك القذر وأسحق عظامك » .

وأدركت وهيبة انها اثارت غضبه . وخشيت ان يتفاقم الغضب فينهال عليها بالضرب . وهي تعرفه حين يثور . وطالما ثار عليها ، طالما انهال عليها بالضرب والرفس واللطم . ورأت ان تسرع بالهرب ، فأطلقت ساقيها للريح وهي تهدد وتتوعد .

وأسرعت بالذهاب الى دارها . ودخلت الى الدار وأنوار الصباح تكحل مقلة الليل بأنوارها الزاهية الزاهرة البيضاء .

وارتمت على سريرها تجهش بالبكاء . لقد خسرت وهيبة رشدان كل شيء . سليمان الصقر فجعها بأعز أمانيها واروع احلامها الرائعة العذاب ،

الفصل التاسع

البريء

اليوم يوم محاكمة فؤاد العبلان المتهم بقتل حسيب المير .

وغصت قاعة محكمة الجنايات بالجمهور الطرابلسي الكريم وكلهم جاء ليقف على تفاصيل مقتل حسيب المير ، والقليل القليل جاء ليتأكد ان فؤاداً لم يصرع حسيباً المير . وأعلن الرئيس افتتاح الجلسة ، جلسة المحاكمة. وتلا القرار الظني . القرار الذي وضعه قاضي الإحالة على ضوء تقرير المستنطق وإفادات رجال الدرك والشهود . وكان القرار الظني يتهم فؤاداً العبلان صراحة بقتل حسيب المير . كان القرار يقول : « دهم حسيب المير فؤاداً العبلان يعانق شقيقته ، شقيقة حسيب المير عند الفجر البعيد في بستان الليمون فثار لكرامته ، وانتضى

خنجره وطعن به فؤاداً طعنات غير قاتلة . ونقل فؤاد الى المستشفى حيث عولج وشفي وحقد على حسيب ، وضمر له الشر في قلبه . وعزم على الانتقام منه . وراح يتحين الفرص للانتقام .

وحانت الفرصة عندما شاهد حسيباً ذات ليلة يعود الى داره . وكان قد كمن له في البستان . وانقض عليه من الوراء وطعنه ثلاث طعنات كل طعنة كانت كافية لقتله . واضطرب وهو يرى ضحيته جثة هامدة غارقة في الدم . وركن الى الفرار إلا ان الخنجر سقط منه ، وحال الاضطراب النازل به دون الانتباه الى الخنجر . فكأن الله أراد ان يكشف الجريمة ويفضح القاتل وينتقم للدم البريء . »

ويقول القرار الظني: إن هذه الوقائع تأيدت. أولاً : بالخنجر الذي وجد في مكان الجريمة والذي ثبت انه خنجر القاتل فؤاد العبلان .

ثانياً : بالتقرير الطبي الذي أثبت ان القتل حصل بواسطة الخنجر المصادر .

ثالثاً : بإفادات الشهود .

رابعاً : بتناقض إفادتي والد فؤاد ووالدته إلى آخر ما هنالك من براهين ساطعة كسطوع شمس الصباح »

ويطلب القرار إدانة فؤاد العبلان وتطبيق حكم الاعدام بحقه ليكون عبرة لسواه من المجرمين .

وسأل الرئيس فؤاداً : « ماذا تقول يا فؤاد العبلان في التهمة اللاصقة بك ؟ »

ووقف فؤاد يقول : « أنا بريء يا سيدي أنا لم أقتل حسيباً. كان حسيب المير بمثابة أخي هل هناك من يقتل أخاه ؟ »

قال الرئيس : « أنت تدّعي البراءة . هات برهانك » .

وصمت فؤاد العبلان . فهو لا يملك أي برهان . وعاد الرئيس الى الكلام وقد أمسك بالخنجر ، الخنجر الذي صرع به حسيب المير فقال : « خنجر من هذا يا فؤاد ؟ »

قال فؤاد : « هو خنجري يا سيدي الرئيس » .

قال الرئيس : « بهذا الخنجر قتل حسيب المير. أيكون الخنجر هو الذي صرع حسيباً بدون ان يكون ثمة يد قد انتضته وغرزته في ظهر حسيب ؟ »

قال فؤاد : « لست أدري يا سيدي » .

قال الرئيس : « وأين كان خنجرك هذا قبل وقوع الجريمة ؟ »

قال : « هذا الخنجر هدية يا سيدي من صديق . انا لم أحمله يوماً . كنت قد علقته في غرفة الاستقبال في داري كتحفة فنية . ولا أعلم كيف وصل الى بستان الليمون وكيف وجد قرب جثة القتيل » .

وضحك الرئيس وضحك الأعضاء . وضحك بعض السامعين . وقال الرئيس : « أتكون الأرواح الشريرة اختطفت خنجرك وصرعت به حسيباً ؟ اعترف يا فؤاد . الاعتراف يخفف الجرم عنك » .

وتمتم فؤاد : « أنا لم أرتكب الجريمة يا سيدي . أنا بريء بريء بريء » .

وطلب الرئيس الاستماع الى بعض الشهود ، الى الغانية صديقة حسيب المير ، تلك الفاتنة التي فجعت بموت حبيبها والتي كانت تبكيه بدموع حرّى . وسألها : « متى رأيت حسيباً للمرة الأخيرة ؟ » فأجابت :

« سهرت وإياه ليلة مصرعه . لقد ودعني في الساعة الثالثة تقريباً وعاد الى داره . كان في حال طبيعية ولم يكن مضطرباً. وكنا قد تواعدنا على اللقاء في اليوم التالي إلا انني فوجئت في اليوم التالي بالصحف تنعي إلي حسيباً » .

وسألها الرئيس : « هل أبدى حسيب المير أمامك تخوفه من الموت قتلا ؟ »

قالت : « لا يا سيدي ابداً . لم يكن لحسيب أعداء . الكل يحبونه . الكل يحترمونه . الكل يحفظون له في قلوبهم المودة والوفاء » .

وعاد الرئيس يسألها : « هل كنت على علاقة بشاب غير حسيب ؟ ألا يخيل اليك ان هناك مزاحماً لحسيب على قلبك ؟ »

وقالت الثانية : « هذا السؤال طرحه علي المحقق يا سيدي وأجبت عليه بكل صراحة . لم يكن لحسيب المير مزاحماً على قلبي يا سيدي . لم أكن أشرك أي انسان بحب حسيب المير . كنت أحبه وكان يحبني وكنا سعيدين في حبنا » .

وسألها : « من هو قاتل حسيب ؟ أيلوح لك ان هناك من كان يحفظ العداء لحسيب المير في قلبه ؟ »

قالت : « لا أعلم يا سيدي . أنا لا أستطيع ان اقول غير ما يوحي اليه ضميري وضميري لا يرتاح لاتهام أي انسان » واكتفى الرئيس بما سمع منها .

وطلب الاستماع الى والد فؤاد . وأقبل نصر العبلان يجر رجليه جراً وقد أحنى الهم ظهره وذهب الحزن بعافيتـــه .

ووقف امـــام المحكمة يروي تفاصيل الخلاف الذي نشب بين الأسرتين أسرته وأسرة المير يوم طعن حسيب المير ابنه فؤاد العبلان . وشرح الوالد الحزين لهيئـــة المحكمة كيف عمل على إعادة المياه الى مجاريها بين الأسرتين . ثم جزم بأن ابنـــه لم يقتل حسيبا .

واستمعت المحكمة الى إفادة والدة فؤاد . ووقفت الوالدة العجوز امام المحكمة وراحت تنظر الى ولدها الجالس في قفص الاتهام بين رجال الدرك وتجهش بالبكاء .

وأيدت الوالدة الحزين إفادتها التي أدلت بها أمام المحقق وراحت تتمتم وهي تبكي :

« ابني بريء . بريء بريء يا سيدي . فؤاد لا يقتل . هو لا يقتل عصفوراً يا سيدي الرئيس ارحموه اشفقوا على شبابه . لا تظلموه يا سيدي . » وتقدم رجال الدرك منها يمسكون بيدها ويخرجونها من القاعة . وأقبل الطبيب الشرعي الذي أشرف على معاينة الجثة وتشريحها يدلي بشهادته . وجاءت شهادته مؤيدة التقرير الذي وضعه والذي يجزم بأن القتل كان نتيجة ثلاث طعنات من خنجر مصقول .

وبعد ان استمعت المحكمة الى جميع الشهود اعطيت الكلمة لمحامي الدفاع فوقف المحامي اللامع يدافع عن فؤاد العبلان

بكل ما أوتي من حجة وبلاغة وفصاحة ، إلا ان لا فصاحته ولا بلاغته ولا حجته أبعدت التهمة عن فؤاد . كانت التهمة الشائنة لاصقة به وكل ما هناك من أدلة وبراهين كانت ضد فؤاد.. وارتجل محامي الادعاء مطالعة عنيفة فاتهم فؤاد العبلان بقتل حسيب المير وقال : « هذا المتهم الماثل أمامكم ايها السادة الذي يدعي البراءة . الذي يحاول الظهور أمامكم بمظهر الحمل الوديع إن هو سوى ذئب مفترس . افترس شرف حسيب المير ، افترس كرامته ، افترس سمعته افترس اسمه .

ولم يكفه ذلك بل هو عمد الى افتراس حسيب المير نفسه . فوثب اليه ينشب أظافره الأثيمة في جسد ضحيته ويلوث يديه القذرتين بدم حسيب المير الزكي .. كل ما هناك يثبت ان فؤاداً فتك بحسيب المير . الشهود . الخنجر . التقرير الطبي . أمه . حتى أم فؤاد لا تستطيع ان تثبت المكان الذي كان فيه ابنها ساعة وقوع الجريمة .

ماذا تريدون بعد ايها السادة . لم يعد ثمة إلا ان نشاهد فؤاداً ينتضي خنجره المصقول ويغمده في صدر حسيب . في صدره ؟ لا . ليته طعنه في الصدر .

ليته وقف امامه وقال له : « دافع عن نفسك » إذن لكانت جريمته أخف وطأة وبشاعة . الا انه أبى ان يكون نبيلا حتى في ارتكابه الجريمة . فعمد إلى الطعن في الظهر . انها

وحشية ما بعدها من وحشية . انها سفالة ما بعدها من سفالة . لمثله وجدت المشانق يا سادتي . لمثله وضعت القوانين ، لمثله وجدت المحاكم العادلة في الحياة .

إنني أطالب الانتقام للدم البريء . أطالب إعدام فؤاد العبلان ودفع دية القتيل وتدريه الرسوم والنفقات » .

وما قاله محامي الادعاء قاله ممثل النيابة العامة : « الاعدام للقاتل المجرم النذل فؤاد العبلان » ، وأطرق فؤاد العبلان برأسه إلى الأرض وهو يستمع إلى كلمة الادعاء وإلى كلمة النيابة العامة وقد أدرك أن حبل المشنقة بدأ يلتف حول عنقه . وهمس في سره :

« يا رب . انت تعلم الحقيقة الناصعة البياض . تعلم انني مظلوم ساعدني يا رب . ساعدني يا إلهي كي أخرج من هذه القاعة مرفوع الجبين ناصع الكف . أنا لا يهمني الموت . لا يهمني الاعدام . كل ما يهمني هو ان تعرف لمياء انني بريء ، كل ما أطلب منك هو ان تتأكد لمياء انني لم أفتك بأخيها . هذا كل ما أطلب منك يا إلهي » .

وذرف فؤاد العبلان دمعة حارة وهو يصلي في سره إلى الله ويطلب اليه ان ينير أمامه السبيل . والله القوي القدير يسمع إلى صلاة المظلوم بأذن صاغية . الله نور الحق وميزان العدل

ومنصف المظلوم . ما من مظلوم لجأ اليه تعالى إلا وأنصفه ، وغمر روحه بضياء العدل والحق والانصاف . وكأن الله تعالى استمع إلى صلاة فؤاد المبلان . فمهد أمامه الطريق نحو البراءة الوضاحة الجبين .

الفصل العاشر

لقاء الحبيبين

الملهى العامر الجاثم في قلب عاصمة الشمال على تيه ودلال يزدحم بالزبائن الكرام .

وهناك في زاويـــة من زوايا الملهى المغمورة بالنور الأحمر الواهي جلست وهيبة رشدان تجرع الخمر وحدهـا والدمعة تترقرق في عينها . ما نزل بها دفع الدموع إلى عينيها وأنهك قواها وغمر روحها بالألم والأسى والحنين . سليمان الصقر أذلها . عبث بفؤادها فأدماه وأبى ان يضمد جراحـــه . يا له من نذل لئيم شرير .

وانصرفت وهيبة رشدان إلى التفكير العميق السحيق البعيد

القرار . كانت تفكر بعشيقها سليمان الصقر . تفكر بالصدمة العنيفة التي وجهها سليمان إلى قلبهـــا ، هذا القلب الذي أحبه وآواه وحنا عليه ، هذا القلب الذي غمر سليمان بالعطف والحب والحنين . لقد كفر سليمان به وبادله العطف بالخيـــانة والحب بالبغضاء ، لقد خانها سليمان ، فرّ منها ، تماماً كما يفر المجرمون اللصوص . لا بأس . لها الله ، الله لن يتخلى عنها سيرسل لها من هو خير من سليمان ، وسينتقم لقلبهـــا من العابث به المثخن حناياه بالجراح .

وجرعت وهيبة رشدان كأسها ونفثت دخان لفافتها في الفضاء وأرسلت زفرة حرى لاهبة حمراء .. واستفاقت من تفكيرها العميق على صوت يتمتم قربها : « وهيبة مساء الخير » ورفعت وهيبة نظرها لتشاهد صديقها جميل المندور واقفاً قربها حاملاً بيده صحيفة يومية .

وتمتمت : « مساء الخير يا جميل . تفضل اجلس » وجلس جميل قربها وهمس : « وهيبة !. أتريدين ان تشاهدي صورة الفتاة التي سلبتك حبيبك . خذي انظري . هذه هي صورتهـا نشرتها هذه الصحيفة وقد روت تفاصيل محاكمة فؤاد العبلان . منذ ان شاهدت هـذه الصورة فكرت بك وحملت الصحيفـة اليك . تفضلي » .

وتناولت وهيبة الصحيفة وشاهدت كل ما فيها من صور .

كانت تلك الصحيفة قد نشرت تفاصيل محاكمة فؤاد العبلان . ونشرت عدة صور ورسوم . صورة لمياء المير وقد كتب تحتها : « هذه الحسناء كانت السبب في وقوع الجريمـة » وصورة أخيها حبيب وقد كتب تحتها :

« فقيد الشباب حبيب المير . دافع عن شرفـــه ولكنه لم يستطع ان يدافع عن حياته » .

وصورة فؤاد العبلان وقد خط تحتهـــا : « هذا هو القاتل المجرم فؤاد العبلان . قتل حبيب المير ليصل إلى قلب اخته على جسر من الدم » وكان ثمة صورة الخنجر . الخنجر الذي وجد قرب جثة القتيل .

وكانت صورة الخنجر كبيرة واضحـة وقد كتب تحتها : « بهذا الخنجر قتل فؤاد العبلان حبيب المير » . وعرفت وهيبة هذا الخنجر . ولفت نظرها الحرفان المحفوران عليه « ف.ع » وارتعشت وهيبة واضطربت وأخذت تتأمل الخنجر وتتساءل : هذا الخنجر كان مع عشيقها السابق سليمان الصقر . لقد وقع من جيبه في دارها وقد أعجبت به وبمذاقه .

وأعادته إلى جيب سليمان .. إذن .. إذن مـاذا ؟ أيكون سليمان القاتل .

ما دام الخنجر كان في جيبه فهل ثمة أي شك في انه هو القاتل . وصمتت وهيبة رشدان .

لم تدر ماذا عليها ان تفعل. هل تبوح بالسر لجميل المندور؟. هل تقول له : « سليمان الصقر هو القاتل لا فؤاد العلان ؟. » لا . لا يجوز ان تفشي السر . عليها ان تفكر ملياً قبل الاقدام على أي عمل . ثم ، هل نسيت ان جميلا هو صديق سليمان . الا يجوز ان يشخص جميل فوراً الى سليمان ويطلعه على السر فيهرب سليمان وتضيع عليها فرصة الانتقام ؟

أجل يجوز . كل شيء يجوز .. واشتد الاضطراب بهـا وعصف القلق بفؤادها . كانت ثمة عوامل عديدة تجتاح رأسها. عوامل مختلفة . عوامل قلق وعوامل ارتيـاح وعوامل انتقام وعوامل عفو .. عدة عوامل ، عدة عواطف عدة إحساسات عصفت في قلب وهيبة رشدان وفي رأسهـا . وشعرت بالوهن .

وأدركت انها لن تستطيع ان تظل في ذلك الملهى . شعرت بأن ثمة قوة هائلة تدفعها للنهوض، فنهضت . واستأذنت من صديقها جميل المندور وخرجت من الملهى عائدة إلى دارها .. وفي الدار أشعلت لفافة وجلست تفكر :

ماذا عليها ان تفعل ؟ هل تشخص إلى سليمان وتهدده بإفشاء

السر ؟ تخيره بين العودة اليها وبين إفشاء السر ؟. لا . لا يجوز لها ان تفعل ذلك . سليمان أذلها ، احتقرها طردها من داره ، خانها ؟.

أتعود اليه ؟ لا . هي لم تعد تحبه ، لم تعد تؤمن به ، لم تعد تركن اليه . يجب ان تنتقم منه . يجب ان تزج به في السجن ، يجب ان ترسل به إلى المشنقة . ستنتقم وهيبة رشدان من سليمان مرتين مرة لقلبها الكسير ومرة للدم البريء ، دم حبيب الميو الذي هدره سليمان . ستكون في جانب العدالة ضد سليمان . ضميرها الحي يجيب بها الى البوح بالسر الرهيب . يهيب بها الى إنقاذ البريء من التهمة اللاحقة به ودفع العدالة الى الاقتصاص من المجرم الحقيقي . ستنتقم . ستنتقم . ستنتقم . سليمان الصقر لن يكون لها ولن يكون لغيرها . سأرسل به الى السجن . علي وعلى اعدائي يا رب ..

ومضت وهيبة في تفكيرهـا العميق . وأحرقت عشرات اللفافات وهي ساهرة تفكر وترسم خطة الانتقام . وعندما بزغ الصباح كانت وهيبة قد اتخذت قرارها النهائي .

ونهضت ترتدي ثيابها دون ان تأخذ لنفسها قسطاً ضئيلا من الراحة ، دون ان تنام دقيقة واحدة . وشخصت إلى دار العدل تطلب المثول بين يدي النائب العام . وقيل لها :

« النائب العام لا يستطيع مقابلتك . إنه يحقق في جريمة كبرى » .

قالت : أبلغوه ان هناك ما هو أهم من الجريمة ، هناك سر رهيب أريد ان أفضي به اليه ». وألحت في مقابلة النائب العام فكان لها ما أرادت .

ودخلت الى مكتب النائب العام . وخلت بـه زهاء نصف ساعة روت له فيها كل ما تحمل في صدرها من أسرار رهيبة هائلة .

وما ان خرجت رهيبة رشدان من قصر العدل حتى كان النائب العام يستدعي اليـه رجال التحري ويكلفهم باعتقال سليمان الصقر .

وشخص ثلاثة من رجال التحري الأشداء إلى دار سليمان الصقر ، وكان سليمان لا يزال يغط في نومه عندما اقتحم رجال التحري الدار وهم يشهرون المسدسات . وذعر سليمان . وأخذ يرجف من الخوف ، وهم بالهرب ، هم بأن يلقي بنفسه من النافذة إلا ان رجال التحري كانوا له بالمرصاد فألقوا القبض عليـه وكبلوه بالحديد وساقوه إلى قصر العدل .

وتولى النائب العـام بنفسه التحقيق مع سليمان الصقر . وحاول سليمان الانكار . حاول ان يدفع عنه تهمة قتل حسيب

الميرِ ، إلا ان النائب العام أرغمه على الاعتراف وقد جابهه بإفادة عشيقته رهيبة رشدان . وعض سليمان الصقر شفته حتى أدماها وغرز أظافره براحتيه وتمتم :

« يا المجرمة الفاسقة . هددتني بالانتقـام فانتقمت وكان انتقامها رهيباً » .

واعترف سليمان الصقر بكل شيء . لم يعد ثمة مجال للانكار كل مـا هناك من أدلة أصبحت ضده فالانكار لا يفيد ولا يروي له غليلاً .

وفتحت أبواب السجن أمام فؤاد الميلان لتطبق على سليمان الصقر .. وطار فؤاد الى حبيبته لمياء الميلان يفتح لهـا ذراعيه ، وفتحت له ذراعيها فتعانقا والدموع تترقرق في العيون الأربع في عينيها وعينيه .

وهمست لمياء وهي تعانقه :

« فؤاد . كنت واقفة وحدي بين نارين . بين نار قلبي ونار عقلي . بينك وبين أخي . أما الآن فنحن الاثنيـن ، انا وانت واقفان بين نارين .. بين نار قلبي وبين نار قلبك .

ومثل سليمان الصقر أمـام القضاء العادل . وأصدر القضاء حكمه بإعدام سليمان الصقر . وفي حين كان سليمان الصقر يسير

الى ساحة الاعدام كان فؤاد النبلان يمسك بيد عروسه الحسناء ويطير وإياها الى أعالي الجبال، لقضاء شهر العسل الهانيء البهيج.

(تمت)

محرقة قلب

نصيب القلوب من الحياة الاحتراق ..

فقد كتب للقلوب أن تكتوي بالشوق وتشتعل بالحب ، وتحترق بالهوى !.

والقلب الذي يحترق هو وحده القلب الذي يحيا في الحب ، ذلك لأن الطريق إلى الحب الروحي العميق البعيد الفسيح هو طريق الشوق والألم والحنين ..

وما هذه القصة سوى قصة « محرقة قلب » اشتعل واكتوى واحترق ليضيء الأرجاء السوداء ويذيب الظلام المدلهم !.

بهسار

الفصل الأول

الارملة

لليل نداء لا يسمعه الا اولئك الذين يـ يرون مع اشباح الليل واطيافه حتى مطلع الفجر البعيد .

والليـــل ، هذا العبد الأسود ، المنتصب في بيداء النور الساطع ، الناصع البياض ، له عيون سوداء ، ساهرة لا تنام .

ونجوم الليل الساهرة أبداً في الفضاء ترقب البشر من وراء العالم المجهول القرار ، تشترك مع الضباب والغمام ، والنسائم المعطرة ، والظلمة القاتمة ، والهجعة الهادئة الساكنة البعيدة في عزف نشيد الليل وأنغامه ، فيخرج النشيد نداء داوياً ترده الأجيال والآباد والدهور ،

لليل نداء ،

الا ان الليل لا يطلق نداءه الداوي الا في آذان المعذبين أبناء الدموع والآهات والآلام والجراح .

والليل صديق الدامعين الباكين ، انه صديق الجائع والعاشق والبائس والعليل والمحروم .

أولئك هم أبناء الليل المشردون في العالم الفاني ، يملأون الليل آهات وأنيناً وحنيناً وشجوناً ، ولوعات .

وأرملة سليم الراضي من أبناء الدموع ، لقد سمعت نشيد الليل واكتحلت عيناها بسواده وتخضبت يداها بدمه الأسود القاتم الرهيب .

وانطوت أرملة سليم الراضي على نفسها في زاوية بيتها في ضواحي العاصمة اللبنانية تذرف الدمع السخين ، وتسمع الليل آهاتها ودموعها وأنينها .

وبكت أرملة سليم الراضي ، لقد بكت الماضي الجميل والحاضر القاتم والمستقبل المجهول .

ولماذا لا تبكي وقد رحل زوجها عن هذا العالم تاركاً لها ابنتين : نجوى وسلوى ، والابنتان ما زالتا في عمر الزهور الندية لا تستطيعان مد يدي المعونة إلى أمها البائسة المسكينة العليل ، لم تبلغ نجوى السابعة عشر من عمرها وسلوى لم تبلغ الثانية عشر .

والسند انهار ، تاركاً لهن الفقر والبؤس والجوع ، وأنّى تلفّتت أرملة سليم الراضي وقعت عيناها على ما يعذبها ويدمي

قلبها ويذيب فؤادها . ابنتاها بحاجة الى العلم والخبز ، وهي بحاجة إلى الطعام والثياب ، واليد فارغة .

وأقامت أرملة سليم الراضي على لوعة وأسى . يا ويلها ويا ويل نجوى وسلوى .

وانسكبت دموع أرملة سليم الراضي غزيرة على وجنتيها وشاهدت نجوى أمها تبكي فوثبت اليها تقبلها وتلقي برأسها الصغير على صدرها وتتمتم : لماذا البكاء يا أمي وابنتك نجوى قادرة على درء الهموم عن صدرك الحنون ؟ أنا هنا . لا أدع الدموع تنساب الى جفنيك ولا الهموم طريقاً إلى قلبك . اعتمدي على نجوى يا ام نجوى .

وضمت أرملة سليم الراضي ابنتها الى صدرها : فلتفتدي امك يا نجوى ، روحي فداك وفدى اختك سلوى ، لن أدعكما تنامان على الطوى وفي عروقي نقطة من دم .

وغرقت الاثنتان ، الأم والابنة في دموعهما .

ورأت سلوى امها واختها تبكيان فشاركتها البكاء دون ان تعلم السبب .

وتحوّل منزل المرحوم سليم الراضي الى دار بكاء مغمورة بالدموع والآهات والأنين . ليس لأرملة سليم الراضي وابنتيه سوى الدموع . هذه الدموع السخية تطفىء قبس نار الحزن على عميد البيت البعيد عن هذا العالم ، وتخمد لهيب الأسى والشجون

والمخاوف من المستقبل الآتي الفاغر الفم الحاد الاسنان ، الناتىء الأظافر المجهول القرار .

وانصرفت أرملة سليم الراضي الى البحث عن عمل تستطيع بواسطته رد شبح الجوع الرهيب المخيف عنها وعن ابنتيها .



وانصرفت ابنتها نجوى ايضاً الى البحث عن عمل تستطيع به إسعاد امها وشقيقتها الصغيرة .

والاثنتان اخفقتا في الوقوع على العمل المنشود . فلا الأم وفقت في سعيها ولا الابنة .

وعادت الاثنتان الى الدار لتعودا الى البكاء ، وذرف الدموع ، ليس للأرملة واليتيمتين سوى الدموع . الدموع وحدهما عزاء أرملة سليم الراضي وابنتيها نجوى وسلوى .

ونامت الأم ، ونامت الابنتان على الطوى ، وعلى الدموع .

وما ان بزغ صباح اليوم التالي ، حتى كانت الأرملة البائسة تسير في الطريق بحثاً عن العمل ، وابنتها نجوى تسير في طريق آخر .

وطافت الأم على دور الأهل والأقارب والأصحاب تطلب العمل . انها على استعداد للخدمة في بيوت الناس في سبيل توفير السعادة لابنتيها . إلا ان الأبواب صدت في وجهها .

أما ابنتها نجوى فقد طافت على المحال التجارية :—أتكونون بحاجة الى موظفة ؟ إلى خادمة ؟ إلى فتاة تعمل عندكم ؟

والجواب هو هو : لا . لا ..

وعادت إلى المسير على غير هدى .

وقادتها قدماها الى الملاهي الليلية المنتشرة في قلب العاصمة اللبنانية .

ودخلت الى ملهى كبير ، يغرق في البذخ والاسراف والغنى الفضفاض ، انه ملتقى الطبقة الارستقراطية من أبناء البلاد .

ودهشت نجوى للسجاجيد المبسوطة في الأرض ، وللمصابيح الكهربائية اللامعة المشنوقة في السقف ، وللرسوم الرائعة المتصدرة الجدران .

وكادت تعود أدراجها . هذا المكان محرم على أمثالها . انه لأبناء الأغنياء ، الأغنياء الموسرين أصحاب الصناديق العامرة بالذهب الأصفر الرنان .

وشاهدها صاحب الملهى في وقفتها الخجول . ورآها تعود أدراجها ، فأسرع في أثرها يدعوها للدخول : — تعالي يا ابنتي ، تعالي .

واستأنست نجوى بصاحب الملهى ، وهو رجل يكاد يكون في عمر والدها المرحوم ، وخط الشيب لحيته الا انه ما زال في أناقته وعطوره كالشباب النضير الريان .

وتقدمت نجوى من صاحب الملهى على خجل وانكسار .

وأعاد سؤاله : مابك ؟. قولي يا ابنتي .

وانفجرت نجوى في البكاء ، وبدأت الدموع تنفر من عينيها الحلوتين لتنسكب غزيرة على خديها فتزيد في جمالها الطاهر البريء المقدس .

وأعجب صاحب الملهى بهذه "البضاعة". يا لها من زهرة فواحة العبير . لو قدر له اجتذابها الى ملهاه لاجتذب معها ألوف الزبائن المعجبين بالحسن والجمال ، وأمسك صاحب الملهى بيد نجوى وتمتم : أأنت بحاجة إلى خدمة نؤديها لك ؟.

قالت والغصة تخنقها والدمعة تقطع عليها الكلمات : انني وامي واختي الصغيرة بحاجة الى الرغيف .

فأدرك أنه حيال ثمرة ناضجة ، لا تحتاج لسوى يد تمتد اليها لقطفها ..

وتظاهر بالاشفاق والحنان . وعاد إلى التمتمات : لا تجزعي يا ابنتي نحن هنا لرد الجوع عنك وعن امك واختك الصغيرة .

فجثت أمامه وهمت بتقبيل يده : يا له من محسن فاضل كريم ، نبيل .. إلا ان صاحب الملهى رفعها وأجلسها على كرسي جلدي ثمين وصفق للخادم : — تعال .. فنجان قهوة للآنسة اللطيفة ، وأكبرت نجوى فيه هذا السخاء .. وشكرته وحمدت ربها على هذه النعمة الفريدة .

وفيما نجوى ترشف القهوة جلس صاحب الملهى يمعن النظر في وجهها . انه جمال رائع فاق هذا الجمال الرهيب الذي تنعم فيه الفتاة . يجب الاستئثار بها ، وجودها في ملهاه ضروري . انها الطعم — الذي يجذب الفار الى المصيدة .

وقال صاحب الملهى : أتودين العمل لإعالة امك وشقيقتك يا ابنتي ؟

فتمتمت : هذا ما أريد يا سيدي .

قال : نحن نستطيع ان نوفر لك العمل هنا في هذا الملهى ؟ فابتسمت ، ولقد لاح لها الأمل قريباً ، قريباً على خطوات منها ، قالت : وما عساني أعمل هنا ؟.

قال : العمل بسيط ، تحضرين كل ليلة الى الملهى وتجلسين إلى طاولة تشربين الخمر .

فدهشت : ماذا يقول هذا الرجل ؟ انه يدعوها للشراب ؟ وأين ؟! في ملهى ، أمام الناس ؟ هذا ما لا يكون .

ووقفت تهم بالذهاب فاستوقفها : ما بك لا توافقين ؟ لا تخافي ، لن تدفعي ثمن ما تشربين . الذين يدفعون الثمن كثيرون . ما عليك سوى ان تشربي ما يقدمه لك المعجبون .

قالت : امي لا تسمح لي بالخروج من الدار ليلاً يا سيدي . إذا كان ثمة عمل في النهار فاني على استعداد للقيام به . أما في الليل فأنا لا أستطيع الى ذلك سبيلا .

قال : انني آسف . النهار ليس لنا .. الليل وحده ملكنا . عملنا يبدأ الساعة العاشرة ليلا ولا ينتهي إلا بانتهاء الليل وبزوغ الفجر البعيد .

وهمت بالسير وهي تتمتم : شكراً يا سيدي شكراً .. لا .. إلا أنه اعترض سبيلها وقال : المرتب الشهري سيكون كما تشائين سندفع لك خمسمئة ليرة لبنانية في الشهر .

فوجمت . ماذا يقول ؟ خمسمئة ليرة لبنانية ؟ انه لمبلغ ضخم قد لا تحصل عليه في سنة كاملة .

وأدرك صاحب الملهى ما يجول في خاطرها فأردف : والدفع سلفاً .. أتريدين دفعة على الحساب .

وبالرغم من حاجتها الملحاح الى المال فقد أبت ان تقبض — الدفعة — التي هي على الحساب وقالت : ليس لي ان أبت بأمري يا سيدي . لوالدتي الكلمة الأولى والأخيرة سأخبر أمي بما تعرضه علي .

قال : إني أرافقك الآن إلى داركم وأتحدث مع السيدة والدتك بالأمر ، تعالي ..

وأمسك بيدها وقادها إلى سيارته الفخمة الأنيقة السوداء اللامعة ، وطارت بها السيارة إلى دار المرحوم سليم الراضي .. صاحب الملهى وقع على الطريدة ولن يتخلى عنها . نجوى يجب ان تعمل في ملهاه هذه هي إرادته ولم تكن إرادته لترد في يوم من الأيام .

الفصل الثاني

نجوى المعلمة

ترددت أرملة سليم الراضي طويلاً قبل نزولها عند العروض السخية التي تقدم بها صاحب الملهى.

فهي تخشى السير في الطريق المظلم الشائك المجهول. ايجوز ان تسمح لابنتها نجوى بالجلوس في الملهى الى مطلع الفجر ؟ ايجوز لها ان ترضى بان تشرب نجوى الخمر في ملهى ليلي مع الزبائن الكرام ؟ والنتيجة ، ماذا ستكون النتيجة ؟ والى اي وهدة عميقة ستصل أبنتها ان هي سهرت وشربت وسايرت ؟ .

وتساءلت أرملة سليم الراضي طويلا . وسألت صاحب الملهى ، وصاحب الملهى بارك الله به ، عنده لكل سؤال جواب:
لماذا لا يجوز ان تجالس ابنتك الزبائن ما دمنا عيوننا ساهرة عليها ؟

ولماذا لا يجوز ان تسهر طيلة الليل ما دامت ستنام في النهار ؟ ولماذا لا يجوز ان تدخل إلى ملهى ليلي ونحن اليوم في القرن العشرين قرن الحرية والانطلاق والانعتاق من القيود التي كبلتنا بها يد الرجعية الغاشمة البغيض ؟ اما الخمر الذي ستشربه فلن يصيبها بمكروه ، اطمئني ، لن نسقيها خمراً ، "الويسكي" ممزوجة بالشاي ، والجعة ماء يمازجها الصباغ ، والشمبانيا كازوز اصفر اللون .. لا تخافي عليها ، كما تخافين على ابنتك نخاف على أموالنا
– "ولكن يا سيدي نحن اسرة محافظة" وابتسم على خبث ومكر.
– إذا كانت الاسرة المحافظة تستطيع ان تنقذكم من الجوع فاحرصي على كرامتها . في أي عهد نحن يا سيدتي ؟ اننا في عهد المادة . المادة وحدها هي التي تتكلم وتنطق بالكلمة الآمرة الناهية . ما لك ولهذه الخرافات البائدة . خذي هذه خمسئة ليرة لبنانية ، دفعة أولى على الحساب . وهذا المساء سأرسل للآنسة نجوى السيارة لتوصلها إلى الملهى وستعيدها السيارة اليك عندما تنتهي عملها ، لا تخافي عليها ستكون عندي في مقام ابنتي .

وترددت ام نجوى في استلام المبلغ . انه لمبلغ ضخم سيقيها ويقي ابنتيها من الجوع والفقر والبؤس ، ولكن ..

وترددت كلمة (ولكن) مراراً عديدة في خاطرها قبل ان تمد الى المبلغ يداً ، وأخيراً قبضت المبلغ ووقعت الاتفاق وهي لا تدري انها تدفع بابنتها الطاهرة كطهارة الزنابق البيض

والنكهة كنقاوة الصباح الجميل ، الى النار والظلام .

وبدأت نجوى العمل في الملهى العامر الزاهر الزاهي .

وصعب الأمر عليها في بادىء الأمر ، فهي مضطرة إلى السهر المضني المتعب الفاتك ، ومضطرة إلى احتساء كل ما يقدمه لهامن الشراب ، ومضطرة الى مسايرة الجميع ، الجميع دون استثناء . الشبان والكهول ، والبؤساء والسعداء والفقراء والاغنياء . لا فرق عند صاحب الملهى بين الصغير والكبير ، الفرق عنده هو بين الذي يدفع والذي لا يدفع هذا هو ميزان الانسان عند صاحب الملهى الانيق .

وبدأت العيون النهمة الجائعة تحوم حول نجوى الراضي ، حول الحمامة البيضاء التي اطبق عليها القفص الذهبي اللامع دون ان تدري .. واندفعت نجوى تساير الجميع ، واتقنت بمدة وجيزة أصول العمل ، الابتسامة بكأس وسكي والغمزة بكأس شمبانيا ، اما السابرة فتكلف زجاجة من الويسكي أو زجاجة من الشمبانيا .. وتشرب ، تشرب حتى تضيع عن رشدها لا بأس هذه مشيئة صاحب الملهى وما عليها إلا ان تتمم مشيئته ، رضاه معناه اسعاد أمها وشقيقتها

وادركت نجوى انها تسير في طريق قاتم مظلم مدلهم ، إلا انها لا تستطيع الرجوع ، انها بحاجة إلى الخبز واختها بحاجة إلى العلم .

واغدقت على أمها وعلى اختها الذهب ، وادخلت شقيقتها سلوى إلى معهد علمي كبير ، واخفت عنها الحقيقة . سلوى لن تعلم شيئاً من أمر شقيقتها .

وعندما تسأل سلوى :«ماذا تشتغلين يا اختي ؟» . تجيب نجوى اني أعمل معلمة في مدرسة ، أدرس اللغة العربية .

وتؤمن سلوى بكلام شقيقتها ، نجوى معلمة مسكينة أنها تقضي الليل في اصلاح دفاتر الفروض ، والنهار مع الطالبات في الدروس .

وسارت نجوى في الطريق الشائك البعيد الذي رسمه لها صاحب الملهى العامر بالخيرات ، واشبعت العيون الجائعة النهمة الحائمة حول جمالها الفاتن الريان ، العيون فقط ، نجوى الراضي ليست لقمة سهلة الازدراد ، لا ، لن يستطيع أحد الوصول اليها وهي المحافظة على شرفها وسمعتها وكرامتها .

وقاومت ، قاومت الشيطان الذي بدأ يتمايل امام عينيها بصورة الشبان ، أولئك الشبان ، ابناء الليل ، الذين يعيشون عالة على المجتمع ، ينامون النهار ، ويسهرون الليل لينفقوا أموالهم على بنات الليل في المقاهي والملاهي ، اموالهم ؟ معاذ الله . وهل يملكون اموالاً ؟ انهم ينفقون أموال أهلهم أو أموال الأقارب والأصحاب .

وحام هؤلاء الشبان حول نجوى الراضي ، وكل يريدها

خلية له .. وقاومت نجوى ، ومضت في المقاومة ، لا. لن تلين، لن يقودها الشيطان الى الوهدة العميقة السحيقة البعيدة القرار، وبين الحائمين حول نجوى ، الطالبين رضاها كان صاحب الملهى نفسه ، ابن الستين الغارق في الذهب الناعم بالخيرات .

وراح صاحب الملهى ، يستعد لألقاء الشرك حول الطائر الفريد الطليق الجناح وكان يتظاهر بالعطف عليها وبالاشفاق ، وتثق ابنة سليم الراضي به هذا الاشفاق وذاك العطف العميق، مسكينة انها لتجهل ماذا يخفي الكهل المتصابي لها في صدره من الشر والخبث والمكر .

ومضت الأيام ..

وتدرّجت نجوى الراضي في الملهى الليلي العامر، وترقت فأصبحت راقصة تجيد الرقص الشرقي وتتقنه وتبرع فيه .. وأصبح لها في الملهى الفسيح معجبون يصفقون ويزغردون ويصفرون كلما تهادت وانثنت ولوت على المسرح المترامي الأطراف !.

الفصل الثالث

نجوى الراقصة

تربعت الراقصة نجوى الراضي على قمة الشهرة الذائعة والغنى الفضفاض .

وسارت نجوى بعيداً في الطريق الوعر الشائك ، ولم تعد تأنف من مجالسة الزبائن ولا من مسايرة الشبان

وتعودت الادمان على الخمر ، والسهر الطويل حتى مطلع الفجر البعيد ، الا انها اعتصمت بشرفها ، بشرفها فقط ، وهذا كل ما تملك نجوى الراضي ..

وتمكنت من جمع مبلغ كبير محترم من المال ، اشترت بقسم منه داراً فخمة في ضواحي العاصمة اللبنانية الهاجعة في حضن الطبيعة ، ولم تغفل عن شراء سيارة خاصة تتنقل بها من مدينة

إلى مدينة ومن قرية إلى قرية .

وأبت ان تقيم في دار واحدة مع أمها واختها ، لا ، نجوى لن تقيم إلا في دارها الفخمة في الضواحي ، حيث تستطيع استقبال المعجبين والعشاق .

أما امها واختها سلوى فيجب ان تظلا بعيدتين عن الجو العابق برائحة الخمر والسكر والرقص والغناء .

ونجوى أصبحت تجيد الرقص تماماً كما تجيد السكر .. وأصبحت بدة وجيزة راقصة يشار اليها بالبنان

وتمكنت من جمع عدد كبير من المعجبين حولها ، وهؤلاء كانوا يغدقون عليها المال بدون حساب ..

وكان صاحب الملهى يترقب الفرص السانحة للوصول إلى الثمرة الناضجة الحلوة المذاق ، نجوى الراقصة لن تفلت منه . ستقع في الشرك ، تماماً كما وقعت قبلها الراقصات والمطربات والفاتنات اللواتي مررن في مسرح ملهاه العامر ، الزاخر بالعربدة وبالمعربدين .

ورأت ان تخلع عنها اسم نجوى الراضي لتخلي على نفسها اسماً موسيقياً ذا نغم يشنف الآذان ، وبحثت بين الأسماء طويلا فوقعت على اسم "عطور" وراقها الاسم العابق بالعطر والشذا والأريج ، ونزعت عنها اسم نجوى لتتشح باسم عطور ، وأصبح اسم نجوى الراضي ، الراقصة عطور ، بهذا الاسم يعرفها جميع

رواد الملهى فصاحب الساهر المجنون .

أما أمها وشقيقتها فلا يعرفان عن اسمها الجديد شيئاً . نجوى مازالت في نظرهما نجوى الطاهرة البريئة الشريفة الاسم والروح والجسد .

وكان الشبان يحومون حول عطور كحوم الفراشات حول زهور الرياض اليانعة ، إلا ان نجوى كانت تنفر من الجميع . حدودهم تنتهي عند النظرات والابتسامات والمسايرة . والشبان ، رواد الملاهي والنوادي الليلية لا يرضون بهذا القليل الضئيل من الحب الوارف الظلال . انهم يأبون أن يقنعوا بالنظرة وبالابتسامة وهناك الضم والقبل والعناق إلى آخر ما هناك وهنالك من أساليب الحب الجارف الطامي السيال ..

وكانت نجوى ترى في أولئك الشبان الميوعة والتخنيث والتدله في حب الغواني ، إلا انها كانت مرغمة على مسايرتهم ودعوتهم إلى زيارتها في دارها الفخمة . أليسوا هم الذين يغدقون عليها الهدايا والمال ؟

وأبت نجوى الراضي ، أو بالأحرى الراقصة عطور أن تختار لها عشيقاً من رواد الملهى التي تعمل فيه ، لا ، إذا قدر لها ان تتزوج فهي لن تتزوج إلا من شاب لا يعرف طريق الملاهي وسبل النوادي الليلية ... وكانت تحلم بالزواج ، بالزواج من شاب مهذب رصين غني تقف عليه كلها العذاب ويقف عليها حياته وآماله .

وأي فتاة لا تحلم بما تحلم بـه نجوى الراضي ؟ وأي راقصة لا تتمنى ما تتمناه الراقصة عطور ؟ ان الامـل الوحيد الذي يتمايل في أعماق الفتاة ، سواء أكانت راقصة أم طالبة في معهد الراهبات هو ان تصبح زوجة وأماً ..

وأقامت نجوى على انتظار ، انتظار العريس المنشود . ولاح لها من بعيد ، في شخص شاب أنيق رصين مهذب . رأته ذات ليلة يجلس مع بعض الشبان بعيداً في زاوية يخيم الظلام عليها . ودعاها الشبان لمجالستهم ، وهي تعرفهم حق المعرفة ، فسارت تجلس قربهم وتسايرهم وتشرب ما يجودون به عليها من خمر وشراب .

وعرفت بالشاب الطبيب عادل الحسبان وهو من وجهـاء قرى الجنوب وأسرته من الأسر المحترمة المعروفة في لبنان .

ويبدو ان عادلاً قد أعجب بالراقصة عطور ، لقد كان الاعجاب متبادلاً بين الراقصة والطبيب .

ودعته إلى دارها .

ودعاها إلى نزهة في سيارته الخاصة ونزل عند دعوتهـا .. وزارها .. ونزلت عند دعوته .

وتكررت الدعوات . هي تدعوه إلى دارها ، وهو يدعوها إلى النزهات .. وتأصلت عرى المودة والصداقـة بين الطبيب والراقصة، ولم يلبث ان تحولت المودة والصداقة الى حب والحب

انقلب الى غرام جارف طام هادم ملتهب النيران .

ونعمت الراقصة عطور بحب الطبيب عادل الحسبان ، ونعم هو بحبها وخيل اليها ان الحياة بهجة وحبوراً وأفراحاً وسروراً وأحلاماً سعيدة هانئة .

* * *

ضاق صاحب الملهى العامر ذرعـاً بحب الراقصة عطور ، وتدله بحبها ، وأقام على لوعة ونار وحنين . فهو يحبهـا ويخشى البوح بهذا الحب ، وراح يرسم الخطط للوصول إلى قلب نجوى الراضي ، وعلم يقينـاً ان الوصول الى ذلك القلب الندي العود يكاد يكون مستحيلاً . فهناك كثيرون حاولوا الوثبة الى قلب الراقصة عطور ، وكبوا ، وكلهم يفوقه غنى وجمالاً وجاهـاً وفتوة وشباباً .

وعزم الكهل التصابي على الوصول إلى الثمرة اليانعـة . نجوى لن تفلت من يده . وحدد الموعـد ، موعد القطاف . الليلة ستكون نجوى الراضي أو بالأحرى الراقصة عطور لصاحب الملهى .

وأشار إلى الخدم بعدم مزج الويسكي بالشاي قال لهم : الليلة تقدمون للراقصة عطور الويسكي الحقيقية . لن تمزجوا كؤوسها بالشاي كما جرت العادة .

وحاولوا الاعتراض ، الزبائن يدفعون ثمن الويسكي الممزوج بالشاي للراقصات ولجميع بنات الملهى ، والحيلة تجوز على الجميع ، والراقصات يعلمن ذلك ، فلماذا تريد ان تكبد الملهى الخسارة بتقديم الويسكي الحقيقية البعيدة عن الغش للراقصة عطور ؟

قال : هذه مشيئتي .

وأدركوا ان وراء ذلك سراً . فصاحب الملهى حريص على ماله حرصه على الروح ، ما باله الآن يجود على عطور بالويسكي بدون الشاي .

ومضوا في سبيلهم ، ما لهم وله ، انه حر في ماله .

ونفذوا إرادته ، وعندما جلست الراقصة عطور مع زبائن الملهى كانت كؤوس الويسكي مشرعة أمامها ..

وشربت نجوى الراضي ، وأدركت وهي تذوق الكأس الاولى ، أن ليس ثمة "شاي" ما هناك سوى ويسكي حقيقية ، وخافت ان تستغرق في الشراب ، والشراب يقودها إلى السكر ، وحاولت التوقف عن الشراب إلا انها خشيت غضب صاحب الملهى ، الزبائن يدفعون ثمن الشراب أضعافاً ، أيجوز ان تنقطع عن جرع الكؤوس ؟ لا ، هذا ما لا يجوز .

وكان الفجر قد قارب البزوغ . والزبائن أخذوا بالانصراف ، ونجوى ما زالت في جلوسها إلى المائدة العامرة بالخمر .

وشعر صاحب الملهى ان الراقصة عطور في سكرة عامرة عميقة القرار . وابتسم ، العصفور وقع في الشرك ، هذا ما يريده صاحب الملهى ، يريد الوصول الى الراقصة وهو لا يستطيع الى ذلك سبيلاً إلا وقد أضاعت نجوى الرشد وغابت عن وعيها .

وأسرع الكهل الى الراقصة عطور يساعدها على النهوض ، وكانت في حالة سكر شديد ، ولم تقوَ على المسير ولا على الكلام .

وحملها بين يديه الى السيارة ، وجلس وراء المقود وطار بها الى دارها في ضواحي بيروت ، هناك في الدار العامرة سيكونان وحدهما ، لن يضايقها انسان ولن يعكر عليها صفو الاجتماع الهانيء الحالم الجميل بشر .

وراح صاحب الملهى يستعد للساعة الماتعة ، بعد قليل سيخلو بالراقصة عطور ، ستضمهما دار واحدة ؟ دار واحدة ؟ لا ، بل غرفة واحدة ، أو بالأحرى سيضمهما سرير واحد . يا للساعة الهانئة الماتعة الرائعة الجمال .

ووصلت السيارة بها الى حديقة الدار .

وترجل الكهل الأنيق من السيارة ، ومد يده يساعد عطور على الترجل ، وعجزت الراقصة الحسناء عن المسير فحملها ودخل بها إلى الدار .. وتوجه تواً بالطريدة إلى غرفة النوم ، وفتح

الباب ودخل بها ، وألقاها فوق السرير ، وهمّ بنزع ثيابها ، إلا ان الراقصة كانت قد استعادت بعض قواها .

وأخذت تقاوم .

وبدأت المعركة بين الراقصة الحسناء ، وصاحب الملهى .. وتمكن الكهل من تمزيق ثياب ابنة الراضي ، وتمكنت نجوى من تخديش وجهه بأظافرها الناتئة .

وبدأت الحسناء تستنجد ، وبدأ الكهل يقهقه : — يا لك من مجنونة . بمن تستنجدين ونحن هنا في مأمن من المنجدين أبناء المروءة ؟. لا تخافي . اني أحبك ، أحبك يا عطور ، كما أحب النور والماء والهواء ، أحبك كما أحب روحي وعيني وقلبي .

وأطبق عليها يحاول تقبيلها .

ولطمته —: ارجع أيها النذل ارجع ، ومضى في قهقهاته — إلى أين تريدين مني الرجوع .. أأصل الى الينبوع وأعود دون ان أطفىء سعير الظمأ الذي يكوي مهجتي ويعبث بفؤادي ؟ ألا أكون مجنوناً ان رجعت؟.

وضمها الى صدره ، وراح يمعن في تقبيلها .. وكانت نجوى تنهال على وجهه بالصفع وعلى رجليه بالرفس .. وكاد ينال منها ما يريد ، الا أن الباب فتح فجأة .. فارتد الكهل مذعوراً ،

وازداد الذعر وقد شاهد أمامه الدكتور عادل الحسبان .

وكان عادل يحمل مسدساً حربياً يسدد فوهته الى رأس الكهل المتصابي .

وتراجع الكهل إلى الوراء وقد بلغ به الذعر حده الأقصى وجحظت عيناه ، وأخذت أسنانه تصطك من الفزع ، وشعر بأن ركبتيه تكادان تهويان به على الارض،وتلفظ الطبيب عادل الحسبان بكلمة واحدة ، واحدة فقط : اخرج ..

ولم يقدر صاحب الملهى على الكلام .. وخرج من الغرفة دون أن يستطيع النطق بحرف .. وحمد ربه على السلامة وعاد أدراجه وهو يكاد أن لا يصدق أنه نجا من فوهة مسدس عادل الحسبان النافث سم الموت الزعاف .

وأسرع الدكتور عادل الحسبان الى نجوى : عطور ما بك ؟ هل أصابك مكروه؟.

وارتمت نجوى على صدر عادل تبكي،ورفع رأسها بين يديه وأطبق بشفتيه على شفتيها وانطلقا يسلخان قبلة الهوى والغرام.

لقد تمكن عادل الحسبان من إنقاذ نجوى ، كان يمر قرب دارها بسيارته ، وشاهد النور ينبعث من غرفة نومها فدخل إلى الدار ليشاهدها ويطمئن الى وصولها من الملهى بالسلامة ..

ودخل فسمع استنجادها وأدرك انها في خطر فشهر مسدسه وأسرع بالدخول الى غرفة النوم .

لقد أرسلته العناية الالهية لانقـــاذ الفتاة من براثن الكهل المتصابي العابث بالكرامات الناهش الشرف الأثيل ، الغارق في شهوته المحرقة الملتهبة الحمراء .

الفصل الرابع

الدكتور
عاشق الاختين

تعودت نجوى ان تقوم بزيارة امها وشقيقتها من حين إلى آخر حاملة اليها المال والحلوى والثياب .

وجرياً على العادة المألوفة ملأت نجوى سيارتهـا بأطايب المأكولات وبالعطور والزهور والثيـاب والحلى واسرعت إلى دار أمها وشقيقتها .

واندفعت الأم تستقبل ابنتها وتضمها إلى قلبها وتغرق في دموعها : يا حياة أمـك يا نجوى . انني لفي اشتياق رهيب اليك يا ابنتي . لماذا تصرين على العيش بعيدة هنا ؟ انت في دار وانا وشقيقتك في دار . هذا ما يذيب قلبي يا حبيبتي يا ابنتي . هلا تركت دارك وعشت معنا هنا ؟ لم يبق لي من العمر اكـثر

عما مضى دعيني اعيش ما بقي من حياتي بينك وبين اختك سلوى ، لا تحرميني مرأى وجهك الباسم يا ابنتي ..

وعانقت نجوى امها : — اين سلوى يا أمي ؟

— مريضة ؟

— وما بها ؟

فهمست الأم في اذن نجوى : مسكينة سلوى . خطيبها هجرها . وهي تحبه . تحبه حباً هائلاً عظيماً فلم تتحمل الصدمة الهادمة ووقعت فريسة المرض . قلبها يعذبها لا اذاقك الله عذاب القلب يا نجوى .

واسرعت نجوى بالدخول إلى غرفة سلوى، وارتمت عليها ، في سريرها تمعن في ضمها إلى قلبها وفي تقبيلها بشوق وحنان وعطف عميق سحيق وارف .

واجهشت سلوى بالبكاء واخفت رأسها الصغير في صدر نجوى ، كأنها تريد ان تلقي بكل ما يحمل ذلك الرأس من هموم في صدر اختها الكبرى .

وضمت نجوى شقيقتها سلوى إلى صدرها الخافق ابداً العامر بالحب والعطف والحنان : — قولي . ما بك يا سلوى ؟

— وعكة صحية بسيطة لا تقلقي علي يا نجوى .

فهمست نجوى في اذن شقيقتها : لا تكذبي على شقيقتك نجوى يا سلوى . انا اعرف كل شيء . قولي أتحبينه .

وعادت سلوى إلى الاجهاش بالبكاء؟ اتسألها إذا كانت تحبه ان حبه ليسري في دمها ويملك عليها حواسها الخمس .

وتمتمت سلوى : احبه . وكان يحبني اما الآن فهو يحب امرأة ساقطة . لقد هجرني ليتعلق بهوى راقصة خالعة المذار .

— اتعرفينها ؟ . انني لأستطيع ان أعيده اليك .

قالت سلوى : لا . لا لست أعرفها يا اختي،ومدت سلوى يدها إلى تحت الوسادة لترفع صورة شاب في مطلع العمر وشرخ الشباب ، ودفعت سلوى بالصورة إلى شقيقتها وتمتمت : هذا هو انظريه يا نجوى كم هو جميل ..

ومدت نجوى يدها الى الصورة واخذت تحدق فيها بذعر .

وجحظت عيناها وهما تقعان على الرسم . انه هو هو بعينه اتكون مخطئة . لا ، مستحيل . انه هو .. ولكن ألا يجوز ان يكون صاحب الرسم شبيهاً بذاك ؟ ليس ثمة مستحيل في الحياة، وكثيراً ما تتشابه الوجوه .

وسألت نجوى شقيقتها سلوى : وما هو اسمه يا سلوى ، من هو خطيبك هذا ؟!.

وتمتمت سلوى وهي تمسح دموعها بمنديلها : انه الدكتور عادل الحسبان .

وصمتت نجوى ، وكانت بحالة نفسية عنيفة، حبيبها خطيب

اختهما ، اختها تنازعها هوى عادل الحسبان ، يا له من موقف محرج هائل مخيف .

– ماذا يا نجوى ؟ هل تعرفينه .

– لا . .

وصمتت الشقيقتان ، وغرقت سلوى في دموعها وانينها.

اما نجوى فقد غرقت في تفكير عميق ، وصمت سحيق اشبه بصمت القبور .

واخذت نجوى تفكر : على ماذا يجب ان اقدم يا رب ؟ هناك تضحية ، علي ان اضحي اما بقلبي واما بقلب شقيقتي ، أأحتفظ بعادل أم اتركه لاختي تنعم بهواه وتعيش وإياه عيش الأزواج السعداء ؟

وطال تفكيرها وصمتها .

والتفتت سلوى اليها تسألها : ما بك يا نجوى ؟ ما بك يا اختي ؟ .

فتمتمت نجوى على ألم ولوعة وانكسار : خطيبك سيعود اليك يا سلوى .

فابتسمت سلوى ابتسامة صفراء : ما لأختها تنطق بالنبؤات ، من اين لها ان تعلم بعودة الخطيب الهاجر النائي القاسي الفؤاد .

وتمتمت نجوى : انا اعرف الراقصة التي انتزعت منك عادلاً الحسبان يا سلوى ، وسأقنعها بالابتعاد عن طريق الطبيب فيعود اليك .

قالت : وهل لراقصة فاجرة ساقطة ان تضحي بقلبها في سبيل قلب فتاة بائسة مثلي ؟

واحست نجوى بالوخزة المؤلمة ، اختها تصفها بالفاجرة الساقطة . . ونظرت من النافذة إلى الفضاء الطلق الفسيح الواسع الارجاء وتمتمت : قلت لك انني اعرفها ، فهي ذات قلب حنون ، لن تتأخر عن التضحية بقلبها في سبيل اسعادك ، ثقي بشقيقتك نجوى ، خطيبك سيعود اليك .

وعادت سلوى إلى الابتسامة الصفراء : انها لتشك في مقدرة شقيقتها على إعادة الخطيب الهائم بالراقصة المجهولة .

وقامت نجوى تقبل شقيقتها والدموع تغمر عينيها ، وتودعها ، وتسرع بالخروج من الدار وقد عزمت على ذبح قلبها بيدها . الله اختار لها الطريق وليس لها ان تعترض على إرادة الله ، تلك الإرادة الخفية التي يعجز الانسان عن إدراك كنهها وسبر غورها ومعرفة خفاياها واسرارها العجيبة الغريبة العصماء .

واسرعت نجوى بالعودة إلى دارها في ضواحي بيروت لترتمي في سريرها وتجهش بالبكاء ، لقد لاحت لها الاحلام البعيدة هباء منثورة في الفضاء ، الأمل الباسم الذي كانت تحيا به انهار فحطم قلبها وتركه حطاماً في حطام . لن تتزوج نجوى من

حبيبها الطبيب عادل الحسبان . لا ، هذا هو خطيب شقيقتها سلوى ، الدكتور حسبان لسلوى ، اما هي فلها همومها وآلامها وعذابها . لها الليل والخمر والعربدة والسهر والدموع .

وغرقت في دموعها دموع الألم، واسرعت الى صورة عادل تضمها الى قلبها وترفعها إلى شفتيها وتقبلها والدموع تنسكب على وجنتيها النضرتين . هذا هو الرجل الذي كانت تأمل الحياة قربه مدى الحياة، لن تراه قربها . ستهرب منه ، ستقذف بالسعادة إلى الابد المجهـول القرار . وستعيش حياتها كلها في العذاب والآلام والشجن والدموع من أجل سلوى .

**

الطبيب عادل الحسبان لا يستقر على حال . فهو في قلق وحيرة واضطراب . حبيبته الراقصة عطور تمعن في تعذيبـه واثخان قلبه بالجراح ، كلما امعن في تدليلها امعنت في عذابه . وكلما اغدق عليها حبه الخالد اغدقت عليه التمرد والنفور .

وعزم على مراقبتها . اتكون على علاقـة غرامية بشاب غيره ؟.. ومضى في مراقبتها ، إلا أنّ المراقبة لم تسفر عن جلاء السرّ الدفين ، ولا هي أوصلته إلى ما يصبو اليه ..

ووطد العزم على جلاء الحقيقة الناصعة، فهو لا يستطيع العيش

في تيار الهوى الجارف المضطرم الدائم الاضطراب، وشخص إلى دارها، واقتحم الباب وقد عزم الاّ يعود إلا ويده في يد الراقصة عطور . سيسير بها إلى مكان بعيد ، إلى حيث لا يعرفها احد ويتزوج منها ويعش واياها تحت سقف دار واحدة .

واطلت عطور مقطبة الحاجبين عابسة الوجه ، واسرع اليها مسلماً : — عطور !..

— نعم ؟..

وكانت باردة ، باردة كثلج صنين ، اما هو فكان على نار وجحيم .

وتمتم عادل الحسبان : لقد جئت اليك لأضع حداً لهـذا العذاب الذي اعيش فيه يا عطور .

فابتسمت الراقصة : عذاب ؟ وأي عذاب هو هذا يا سيدي؟

قال : عذاب قلبي ، اني احبك يا عطور ، وانت تعلمين مدى حبي إياك ، انك لتعلمين ما يكنه فؤاد عادل الحسبان لك من الحب والهوى .

فقاطعته : انا لا اعلم شيئاً . انك لدي في مقام اي « زبون » يدخل الملهى الذي اعمل فيه . كلكم عندي سواء .

فدهش عادل : بماذا تنطق عطور ؟ اتتنكر لحبه؟ الا تشعر بما يشعر به . ماذا حل بها ، ولماذا تتنكر هواه وهو العالم بهواها

وبحبها . أيكون ثمة عاشق جديد في قلبها .

وسألها : هل وقعت على شاب جديد يا عطور ؟

فقهقهت قهقهات الساقطات : انني حرة . لا تتدخل بشؤوني . ارجوك ، هذا سبيلك فسر في سبيلك . الراقصة عطور لن ترضى أن تكون لرجل واحد . رجل واحد فقط ، اتريدني ان اكون اسيرة حبك وهواك طيلة ايام حياتي ؟ انك لمجنون .

فصعق عادل الحسبان : بماذا تنطق هذه الراقصة الفاسقة ؟. أيعرض عليها قلبه وهواه وتجنح عنها ؟ انها لمجنونة .

وأرسلت عطور قهقهاتها المرعبة ، كنصلات الخناجر الحادة تنهال على قلبه... وتثاءبت وتمتمت : انني تعبة ، لم انم ليلة امس ، أرجوك ان تسمح لي بالدخول الى غرفتي فأنا بحاجة الى النوم .

ونهضت تمد اليه يدها مودعة ، فكاد يذوب تحت نار خجله ، انها تطرده من دارها . يا للفاسقة الفاجرة المجنونة .

وسار على غير هدى يحمل جراح قلبه ودماء روحه . لقد اخفق في حبه . قلبه اخطأ السبيل . يا لجنون القلب الثائر المعذب التائه المجنون .

وخيل اليه انه اقوى من قلبه الثائر . سينسى حب هذه الراقصة الساقطة . لن يتعذب ولن يسهر ولن يتألم ولن يبكي.

الا انه كان على خطأ . فالآلام اجتاحت قلبه وروحه وطردت عن عينيه الكرى وعن روحه السعادة والهناء .

وما ان ارخى الليل سدله حتى كان الطبيب الحسبان يشخص إلى الملهى الذي تعمل فيه عطور .. ودخل باقدام واهية وبقلب خفوق مسرع النبضات ، وشاهدته عطور في هزاله يجر رجليه جراً اليها . فتظاهرت بانها لم تره.ومسحت دمعة حمراء انهمرت من جفنيها المغمورتين بالدموع .

وعادت اليها صاحب الملهى ، الكهل المتصابي الغارق في هواها ، ولم يصدق الكهل ان عطوراً تطلب اليه الجلوس قربها.

واسرع اليها على اعتذار وخجل وانكسار : انني اعتذر يا عطور عما بدر مني معك منذ ايام . انا احبك والحب يدفع الانسان الى ارتكاب المعاصي والاخطاء. لقد اخطأت فسامحيني.

— اخطأت ؟ لا انت لم تخطىء . بي ما بك من هوى وحنين. إلا انني كنت سكرى تلك الليلة . المعذرة منك يا سيدي.

ومدت يدها تمسك يد الكهل المتصابي وتشدها الى صدرها.

وكاد صاحب الملهى يجن . انها الفرصة السانحة . ما زال على بقية من الشباب تغري الحسان . سوقه رائجة وعطور تحبه البشرى له .

وشاهد الطبيب الحسبان حبيبته الراقصة عطور تسامر الكهل وتغازله فكاد يحترق .

ومضت عطور في مغازلة صاحب الملهى. واطبقت بشفتيها على خده تقبله علناً، امام الجميع .

وصعق الطبيب . يا الفاجرة الساقطة.ونهض عن كرسيه وسار الى عطور على غضب هادم مقعد مقيم . ولم يشعر إلا ويده ترتفع لتنهال على الراقصة باللطم والضرب .

وهب صاحب الملهى يدافع عن عطور .

واسرع الخدم والزبائن الكرام يردون الطبيب الثائر الغاضب عن الراقصة .

وأسرع الدكتور حسبان في الخروج من الملهى على ثورة وجنون . وهو يلعن نفسه ويلعن تلك الساعة المظلمة التي قادته فيها قدماه الى الراقصة عطور . هذا جزاء من يجنح عن الطريق القويم ، ترك خطيبته الطاهرة الحسناء سلوى الراضي ليتعلق بحب راقصة ساقطة فكان الجزاء إهانة وفضيحة وعذاباً .

الفصل الثاني

العذاب الأليم

الراقصة عطور على ألم ممض لاهب، قلبها يعذبها ويمعن في تعذيبها .

وروحها الهائمة الحيرى تذوب تحت وطأة الألم العميق .

وانزوت عطور في دارها تبكي حظها التعس .

آمالها ذوب .

وأحلامها بخرت «باء منثوراً في الفضاء .

وسعادتها تلاشت ، كما تتلاشى سعادات البشر ، مساكين هؤلاء البشر الواهمين ، الهائمين في بيدله الوهم والخيال ، يؤمنون

بالسعادة على هذه الارض ويخيل اليهم ان السعادة على قيد خطوات منهم، والسعادة بعيدة عنهم بعد الارض عن السماء ، السعادة كالسراب كلما اقتربت منها بعدت عنك وكلما شعرت بأنها تقترب منك تبعد عنها .

وشعرت عطور بالالم الروحي وبالالم الجسدي يكويان مهجتها ويقضان مضجعها ويشدانها الى القبر .

وبدأ الداء الوبيل يسعى اليها بخطوات سريعة .

وأحست بأنها تقترب من القبر الفاغر الفم لابتلاعها .

وأبت أن تقابل أحداً أو أن تزور أحداً أو أن تسمح لأحد بزيارتها .

وكانت تحتفظ بصورة واحدة .. بصورة الدكتور عادل الحسبان .. هذا هو الرجل الوحيد الذي تمكن من الدخول الى قلب عطور ..

وكلما نظرت إلى صورة الطبيب غمرت الدموع عينيها واجتاحت اللوعة روحها المعذبة الواهية .

وأدركت نجوى أنها لن تعيش طويلاً ، هذا القلب الموجع العاني سيصرعها . ذبحته بيدها وسينتقم منها، لن تقوى الراقصة عطور على احتمال الكارثة الهادمة .

وبدأ الداء الوبيل يظهر في جسدها النحيل ، وبدأت أسطر

الدم تكتب على منديلها الناصع البياض أحرفها الحمراء.الراقصة عطور تلفظ الدم .

وجاء الاطباء يفحصونها ويدققون في فحصها ويقلبون الشفاه : الراقصة عطور مصابة بداء الصدر ، انها مسلولة .

ولم تأبه نجوى الراضي لانذار الاطباء لا ، أتخاف موت الجسد وقد مات حبها الندي الفتي الاخضر العود ؟

وأشار الاطباء عليها بدخول المستشفى : وعملت بنصيحة الاطباء .

واستقرت الراقصة الحسناء في مستشفى كبير يجثم على قمة شاهقة خضراء من قمم لبنان المتطلعة أبداً الى وجه السماء الصبيح .

وكان منظرها في لوعتها ودموعها وحنينها وذكرياتها الأليمة يفتت الاكباد ، وكانت تجلس في ساحة المستشفى ، تحت شجرة صنوبر وارفة الظلال تحدق بالافق البعيد علها تستطيع خرق حجب الفضاء والوصول الى ذلك العالم المجهول . مسكينة الراقصة ، تلك الراقصة التي كانت بالامس القريب زهرة فواحة العبير يشع الجمال في جبينها وتنبعث القوة في نفثاتها ويبسط الشباب النضير وشاحه عليها مغدقاً عطوره وزهوره ورياحينه .

وأقامت نجوى على انتظار مض . انها تنتظر الموت ليذهب بها الى ما وراء الافق البعيد . لقد سئمت الحياة ، تلك الحياة التي قست عليها وحرمتها السعادة والحب والهناء .. انها لتقيم على عذاب عنيف ، تسهر الليل الطويل فتسمع نداء الليل وتسمع الليل نداءها الحزين .

الفصل الثالث

محرقة قلب

عاد الطبيب عادل الحسبان الى خطيبته سلوى الراضي بعد ان حطمت الراقصة عطور قلبه، وأذابت فؤاده . لقد كان جنون يوم جنح عن خطيبته الحسناء ، ذلك الملاك الطهور ليتمرغ في وحول الملاهي الليلية والنوادي والمواخير .

وأسرع بالعودة إلى خطيبته سلوى مستغفراً نادمـاً على ما فعل .

وعادت الحياة تدب في قلب سلوى الراضي ، وتعافت وغادرت السرير في حين أطبق المرض بيديه الحديديتين على شقيقتها نجوى .

ولم تعرف سلوى بالتضحيـــة الكبرى التي أقدمت نجوى عليها لا ، لم تنشق عبير المحرقة التي قدمتها نجوى. كل ما عرفته هو أن خطيبها كان يحب راقصة ساقطة ، وأن الراقصة أقدمت على خيانته فأدرك هول الجريمة وعاد اليها نادماً . وكانت عودته قبل فوات الاوان .

وانصرفت سلوى ، وانصرف الدكتور عادل الحسبان إلى تهيئة معدات العرس ، وأرسلت في طلب شقيقتها نجوى فقيل لها أن نجوى مسافرة إلى قطر عربي شقيق وأنها لن تعود قبل شهور ، ولم تكن سلوى مرتاحة لغياب نجوى ، فهي تريد أن تفرح نجوى بعرسها ، تريد أن تشاهدها في ثوب العرس الابيض الجميل . أختها صاحبة الفضل الاول والاخير عليها ، هي التي أنفقت على تعليمها وتثقيفها ومعيشتهـا ، كانت تتعب وتشتغل الليل والنهار في التدريس لتوفر لها ولأمها العلم والخبز .

وطلبت سلوى الى أمها أن تبحث عن نجوى .

وأمها كانت تعلم كل شيء ، كانت تعلم أن نجوى تحل في مستشفى الامراض الصدرية إلا أنها لم تشأ أن تعكر على سلوى صفو العرس الجميـل .. لا يجب أن تجهل سلوى كل شيء .. ويجب أن يجهل عريسها أيضاً كل شيء .. لا يجوز أن يعرف الدكتور عادل أن شقيقة سلوى راقصة .

والطبيب عادل الحسبان كان على اعتقاد راسخ أن شقيقة

سلوى الغائبة مدرسة في أحد المعاهد وأنها مسافرة في بعثـة مدرسية فليظل على اعتقاده .

وشاءت سلوى أن تؤخر موعد العرس ريثما تعود نجوى من رحلتها .. إلا أن أمها كانت لها بالمرصاد — : لا يجوز يا سلوى تأجيل موعد العرس . أتريديــن أن تعودي وخطيبك إلى العذاب والهجر والنوى والبعـاد ؟. شقيقتك ستعود لتجدك عروساً . ليس من الضروري أن تحضر نجوى العرس ، ستكون هنا بعد شهور . أي بعد أن تعودي وعريسك الدكتور من رحلة شهر العسل .

وأبت سلوى أن تنزل على إرادة أمها في بادىء الامر : لا ، يجب أن تحضر نجوى عرسي . أيجوز أن يعقد زفافي في غياب أختي ؟ ألا تعتب علي ؟

وتدخل الدكتور العريس : لا مجـال للعتب وهي غير موجودة . عندما تعود من رحلتهـا نخبرهـا كل شيء ، وهي ستعذرنا دون شك . العرس يجب أن يتم في موعده ، إني لأتشاءم من تأجيل موعد العرس .

وأخيراً نزلت سلوى عند إرادة أمها وحبيبها .

وتمت حفلة الزفاف في جو هادىء رصين . وأثنـاء حفلة العرس كانت أم العروس تقف على الشرفة تحدق بالنجوم التي ترصع كبد السماء ، والدموع تملأ عينيها . انها لتجنح بأفكارها إلى

هناك الى المستشفى حيث تقيم ابنتها نجوى — : أين نجوى ؟
نجوى ابنتي المسلولة احرسها يا رب واشفها وأعدها إلي سالمة ..

ومسحت أم العروس دموعها وأسرعت بالدخول لئلا تلفت الأنظار اليها فتعكر صفو العرس البهيج .

وانقضت حفلة العرس ، وتفرق المدعوون ، وأمسك العريس الطبيب عادل الحسبان بيد عروسه سلوى الراضي ، سلوى الراضي ؟ لا سلوى الحسبان انها الآن عقيلته المصون .

وأسرعا في ركوب الطائرة إلى البلدان الأوروبية لقضاء شهر العسل ، هذا الشهر الباسم الثغر ، الضاحك الأيام الجميل الوجه ، الذي تحلم به كل فتاة ، وينتظره كل شاب بفارغ صبر.

وأقامت ام سلوى ، ام العروس ، وحدها في الدار تصلي الى الله طالبة اليه تعالى شفاء نجوى وإعادة سلوى بالسلامة ، انهما الجناحان اللذان تستطيع تلك الأم البائسة بهما التحليق في أفق السعادة والهناء.

★

وانقضت الأيام الثلاثون .

أيام شهر العسل الباسمة الهانئة الدافئة .

وعاد العروسان عادل وسلوى من رحلتهما .

وحطت الطائرة بهما في المطار فأسرعت العروس تفتش بين المستقبلين عن اختها نجوى وعن أمها . ووجمت . فلا أمها هناك ولا أختها . أين هما ؟ لماذا لم يحضرا لاستقبالها واستقبال عريسها . ترى ألم تستلم أمها برقيتها . ونجوى ألم تعد من رحلتها الطويلة ، ما بالهما يتأخران في الحضور إلى المطار لاستقبالها واستقبال صهرهما العزيز .

واستقلت سلوى وعريسها السيارة ، وأسرعا بالذهاب الى دار الأم . ام سلوى .

ونبض قلب العروس على انقباض وهي تدخل دار امهما المتجهمة العبوس .

وأسرعت الى غرفة امها فاتحة ذراعيها ، ستضم هذه الأم الى قلبها ؟ لقد اشتاقت النظرة الى وجهها .

وفتحت باب الغرفة لترتد في دهشة وحيرة ووجوم .

ماذا شاهدت سلوى في الغرفة ؟.. شاهدت امها تتشح بالسواد .. وكانت الغرفة كلها سواداً في سواد .

وتراجعت سلوى مذعورة وقد وقعت عيناها على الصورة الكبيرة المجللة بالحرير الاسود ، هذه صورة اختها نجوى .

وفتحت الام ذراعيها لأبنتها سلوى . وارتمت الابنة على صدر امها وأجهشت بالبكاء .. يا للقاء المؤثر الدامي المغمور بالآهات والانين والدموع .

وتمتمت سلوى : امي !. ماذا حدث ؟

ورفعت الام نظرها الى صورة نجوى وتمتمت بغصة ولوعة : نجوى !..

— ماتت

وغرقتا بالدموع ..

وتقدم الدكتور عادل الحسبان العريس ، الى الصورة السوداء يحدق فيها ليرتد على ذعر .. وتمتم كلمة واحدة فقط : عطور .. !

وانسكبت الدموع غزيرة على وجنتيه وقد أدرك الحقيقة المرعبة المخيفة : عطور أحرقت قلبها لتنير له السبيل . ماتت ليحيا قلبه وقلب اختها سلوى . يا للتضحية الكبرى ويا للعاطفة السخية السمحاء . كانت تلك التضحية الخالدة محرقة . انها محرقة قلب .

* * *

وهناك فوق قبر موحش ناء بعيد ، تحنو عليه أشجار الصنوبر الخضراء ، وتحتضنه الجبال العالية الشماء ، وقف اثنان ،

عادل وسلوى يحملان باقة من زهور يزينان بها القبر الندي التراب ، قبر نجوى من أعطت أكثر مما يستطيع انسان أن يعطي على هذه الأرض الفانية المغمورة بالضباب والأحلام والأوهام .

تمت